
مذاهب وشخصيات
ناجي
شاعر الوجدان الذاتي
بقلم
مد المعتصم بالله
01888185

مذاهب وشخصيات



أحمد المعتصم بالله

مقدمة

منذ عشرة أعوام وعلى وجه التحديد فى ٢٤ من مارس سنة ١٩٥٣ غادرنا الشاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجى الى عالم الخلود ، وحلقت روحه فى السموات التى طالما حلقت اليها من قبل فى شعره الوجدانى المجنح ، وعندما أتقدم بهذا الكتاب فى أعقاب الذكرى العاشرة للشاعر الراحل فاننى لاأتقدم به كمجرد أداء لواجب نحو ذكرى الشاعر الرقيق العاطفة المرهف الحس الذى طالما أشجانا بألحانه العذبة المحلقة وانما لأحاول كذلك أن ادرس الملامح الفنية فى شاعريته ، فقد عرفنا جميعا ابراهيم ناجى كشاعر عاش حياته راهبا فى معبد الحب معبرا عن وجدانه الذاتى أروع تعبير مصورا لنا تجاربه الفنية فى شعر من خير ماعرفنا من شعر عربى .

وفى الكتاب حاولت أن أربط بين ناجى وبين المدارس التى تواترت على حياتنا الأدبية منذ أن قام شاعر الثورة محمود سامى البارودى بتخليص الشعر العربى من آثار عصور الانحطاط الغابرة ، الى أن ظهر شوقى كعملاق فى مدرسة البعث التى اتبعت خط البارودى مع ميل نحو شىء من التجديد ، ثم تتبعت مدرستى الديوان والمهجر اللتين قامتا بحركة أشبه ماتكون بالانقلاب فى مفهوم الشعر عندنا ، وبعد ذلك ركزت مزيدا من الضوء على شاعر القطرين خليل مطران وعلى دوره فى التجديد وأثره فى الجيل الناشىء من الشعراء وقتئذ .

وكما ربطت بين شاعرية ناجى وبين المدارس والاتجاهات الادبية السابقة عليه ربطت كذلك بينه وبين معاصريه من شعراء جيل ابولو وذلك للتعرف على ملامح شعره والملامح الشعرية المشتركة فى الجيل كله ، فقد كان الجيل يمثل المدرسة الرومانسية الحديثة أصدق تمثيل ، بما فيها من ايمان بالتجربة الذاتية والاصطدام بواقع الحياة والهروب منه والربط بين الوجدان الذاتى للشاعر وبين الطبيعة وظواهرها ، وحاولت التعرف على مكانة ناجى بين شعراء هذا الجيل وعلى أثره فى زملائه وفى شباب أبولو على وجه الخصوص .

وكذلك فقد تتبعت حياة ناجى بالقدر الذى ينير لنا الطريق لتفهم شعره ، ثم حاولت أخيرا أن أبحث عن أثر ناجى بصفة خاصة وأثر جيل أبولو بصفة عامة فى الشعر العربى فى الفترة التالية لهم والتى مازلنا نعيشها حتى الآن ..

وفى خلال ذلك كله كان الهدف هو الدراسة الموضوعية لناجى وشاعريته من زاوية تعبيره عن وجدانه الذاتى ، وقد أفضت فيما يتعلق بذلك من نواحى حياته وشخصيته وظروف العصر والبيئة التى عاش فيها ، وأملى أن أكون قد وفقت فى محاولتى هذه لدراسة شاعرنا الكبير وأن تكون هذه الدراسة بمثابة عرفان بالاثر العذب الذى خلفه ناجى لنا وللأجيال القادمة وبتلك الاجواء السامية المحلقة التى طالما رفعنا اليها معه كلما عبر عن حبه المثالى الكبير وعن نظرته الانسانية السمحة .

المؤلف

الفصل الأول

الشعر العربي قبل ناجي

لا شك ان أي قارىء للأدب الحديث يعرف ان الشعر العربي قد مر بمراحل عدة منذ انبعاثته الكبرى على يد شاعر البعث الكبير محمود سامي البارودي ، فبعد أن ظل الشعر العربي يرزح طوال العصرين المملوكي والتركي تحت قيود البديع والمحسنات اللفظية وبعد أن كان كل هم الشعراء هو أن يتصيدوا تلك المحسنات وأن ينظموا في تلك الاغراض التقليدية التي بليت من كثرة ما نظم فيها من اشعار ، نجد أن شاعر الثورة العرابية محمود سامي البارودي ينهض بالشعر نهضة كبرى فيعبد اليه ديباجته القديمة أيام المتنبي والبحتري وأبي فراس ، ولا شك أن البارودي وقد صقلت شاعريته قراءاته العميقة للأدب العربي القديم في منابعه الأصيلة قد قام بدور الرائد في نهضتنا الشعرية الحديثة ، وكل المراحل التي تطور خلالها شعرنا العربي انما قامت على الاساس المتين الذي وضعه البارودي ، ومع أن البارودي لم يفطن الى التيارات والمذاهب الادبية الحديثة ولم يقم بأي دور ريادي في تطوير الشعر العربي من حيث وحدة القصيدة أو التجديد في أغراضها الا أن الدور الذي قام به وهو بعث القصيدة العربية القديمة بديباجتها القوية هو الذي لفت أنظار الشعراء الذين جاءوا من بعده الى ما في شعرنا القديم من جلال وروعة والى ما في شعر العصرين المملوكي والتركي من ضحالة وتهافت .

على ان البارودي كانت له من ناحية أخرى أياد بيضاء على القصيدة العربية فقد خلصها من الاغراض المبتذلة التي كانت تضع الشاعر دائما في موضع المستجدي لعطاء الحكام ، الداعية لحكمهم والمادح لمظالمهم ، والبارودي لم يفعل شيئا من ذلك وانما كان « صادقا في شعره حين يصف الريف المصري وما فيه من مناظر وزرع نضير وهدوء وشمس ضاحية وظل وريف ، وحين يرثي أحباءه وأقاربه وأصدقاءه ، وحين يصف بطولته وشجاعته في ميادين القتال ويصف

بجانب هذا الميدان وطبيعته والاعداء وأحوالهم ، وحين يعبر عن ميوله السياسية وما قاساه على يد الخديوى من اغتراب ومحنة وحنين الى الاهل والوطن ، ولم يمدح البارودى الا نادرا ولم يرث الا صديقا أو حبيبا (١) .. وفى الفترة التى نفى فيها البارودى مع رفاقه من زعماء الثورة العرابية الى سرنديب كانت أشعاره لاتعبر الا عن نفس أبية تعتز بوطنها وتتحمل النفى والتشريد بشجاعة وصبر كبيرين ، وضرب البارودى للشعراء المثل فى تعبير الشاعر عن خلجات نفسه وأحاسيسها مع احتفاظه بديباجة القصيدة العربية ورونقها، ولولا ان هذا قد يخرج بنا عن نطاق بحثنا لأفضنا فى الحديث عن البارودى رائد البعث فى شعرنا العربى الحديث .. والذى نفض عن الشعر غبار قرون طويلة من الصبغة المتهالكة والخيال السقيم .

وفى المرحلة التى تلت البارودى ظهرت فى سماء الشعر العربى اتجاهات عدة غيرت من صياغته وأغراضه بل ومن هذا الشعر نفسه تغييرا يكاد يكون أساسيا ، ولعل من الافضل أن نعرض لهذه الاتجاهات فى شىء من التفصيل .

أولا ـ مدرسة شوقى .. أو امتداد مدرسة البعث :

كانت هذه المدرسة هى الامتداد الطبيعى لمدرسة البعث التى شيد لها البارودى دعائمها ، ومع أن رواد هذه المدرسة وعلى رأسهم شوقى قد التقوا بالتجديد عن غير عمد أحيانا وحاولوه متعمدين أحيانا أخرى ، الا أن الطابع الغالب على هذه المدرسة وشعرائها من الذين نهجوا نهج شوقى من أمثال حافظ ابراهيم وأحمد نسيم وأحمد محرم وأحمد الكاشف ومحمد عبد المطلب وامتداداتهم ، انهم كانوا ما زالوا يقولون الشعر فى اغراضه التقليدية من مديح وهجاء ورثاء ووصف الى غير ذلك من الاغراض مع الاهتمام بالصياغة الموسيقية الرائعة ، حتى ليمكن أن نسمى هذه المدرسة « مدرسة الصياغة الموسيقية » ، والحق أن الباحث المنصف ليعترف لهذه المدرسة بانها كانت تضم ملكات شعرية ضخمة وطاقات فنية كبيرة ضمنت لها أن تظل متربعة فى زعامة الشعر العربى حتى وقت قريب وضمنت لرائدها أحمد شوقى امارة الشعر ، وكان شوقى هو العملاق الذى استظل به شعراء هذه المدرسة ومن نهج على نهجهم حتى ان الناس اجتمعوا على أن شوقى كان تعويضا عادلا عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ماانقطع من وحى الشعر (٢) ، وهذا فيما عدا البارودى بالطبع .

---

(١) عمر الدسوقى ـ في الادب الحديث ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥ .

(٢) احمد حسن الزيات ـ وحى الرسالة ـ ص ٢٦٠ .

واذا كانت مدرسة شوقى هذه قد التقت بالتجديد كما ذكرنا من قبل فهى انما التقت به فى شوقى بالذات ، فقد تلقى شوقى دراسته فى فرنسا ولا شك أن الفترة التى قضاها هناك كانت هى السبب المباشر فى محاولاته التجديدية ، عندما أدخل المسرحية الشعرية فى أدبنا العربى لاول مرة ، وأيا كان رأى النقاد فى مسرحيات شوقى الشعرية فان محاولة ادخال هذا اللون الجديد من الشعر هى فى حد ذاتها كفيلة أن تسلك شوقى فى عداد المجددين ، ولكن تجديد شوقى لم يكن ذلك التجديد المباشر الحاسم وانما كان تجديدا هينا أتى به شوقى بصورة غير مباشرة فى كثير من الاحيان ، ربما لان قيود القصر كانت تمنعه من التجديد الذى تطمح اليه نفسه ، وربما لانه لم يكن يستطيع أن يصدم السليقة العربية التى ألفت الموسيقى الشعرية الرنانة وأغراض الشعر التقليدية بصورة مفاجئة ، ولعل هذه الناحية بالذات هى التى المح اليها الدكتور طه حسين عندما تعرض لنقد ديوان شوقى فى كتابه « حافظ وشوقى » يقول الدكتور طه : « تقرأ مقدمة شوقى فاذا هو يلم بالشعراء المتقدمين الماما ويعجب بهم اعجابا لا يخلو من التحفظ ولا يبرأ من التردد ويعلن اعجابا عريضا بالادب الاوروبى وينبئنا بأنه مجدد لا يقلد الا كارها ولكنه ينبئنا فى الوقت نفسه بأنه قد وضع فى حياته الادبية قاعدة ذكرها نثرا فى هذه المقدمة وذكرها شعرا فى الديوان حيث يقول :

ان الاراقم لايطاق لقاؤها وتنال من خلف بأطراف اليد

فهو لا يستقبل التجديد ولكنه يستدبره ، وهو لايدخل البيوت من أبوابها ولكن يأتيها من ظهورها ، وهو لايجدد فى صراحة وشجاعة وثبات للخصوم ولكنه يجدد فى لباقة ومداورة والتواء على الخصوم» (١)

ويعلل الدكتور طه حسين عدم انسياق شوقى فى تيار التجديد على الرغم من اتصاله بالادب الفرنسى بأن « شوقى كان حين ذهب الى فرنسا فى أواخر القرن الماضى اذا ذكر الشعر الفرنسى ذكر لامارتين وبحيرته التى ترجمها الى العربية ، أو ذكر لافونتين وأساطيره التى قلدها فى العربية ، واذا ذكر الفلسفة ذكر جول سيمون ، ومن المحقق ان آثار لامارتين ولافونتين آيات فى الادب الفرنسى وان فلسفة جول سيمون لها قيمتها ، ولكنك لاتلاحظ أن شوقى يذكر بودلير او فرلين أو سولى بريدوم أو مالا رميه من الشعراء الفرنسيين ، ولا تراه يذكر تين أو رينان أو برجسون من الفلاسفة لأنه لم يكن يسير فى ثقافته على هدى وانما كان يأخذ من الادب الفرنسى آيسره وادناه الى متناول الايدى ، وكذلك كان تجديد شوقى متأثرا بالقديم الفرنسى أكثر مما كان متأثرا بالجديد،

(١) د . طه حسين ـ حافظ وشوقى ـ ص ٩٢ .

ولو قد اتصل شوقى بالمجددين الذين عاصروه فى شبابه من شعراء الفرنسيين لسلك شعره سبيلا أخرى » (١) .

كانت تلك هى العقبات التى عاقت شوقى عن الانطلاق مع تيار التجديد الى مداه ، عقبات من نفسه اذ لم يتأثر فى دراسته بفرنسا الا بالمنافع السهلة الميسورة وعقبات من القصر الذى كان يحد من حريته ويلزمه باعتباره شاعر الامير بان يبدد طاقته الفنية فى التمدح زورا وبهتانا بأعمال الخديوى ، وأخيرا كانت هناك عقبات من الجمهور المتذوق للشعر ، ذلك الجمهور الذى كانت ماتزال آذانه تعشق القصيدة العربية فى صورتها القديمة وتتمثل بموسيقاها الرنانة ..

والى جوار شوقى كان يعيش فى ظلال هذه المدرسة شعراء كثيرون سبق أن اشرنا اليهم ، من أمثال حافظ ونسيم ومحرم والكاشف وعبد المطلب والجارم وغيرهم وما تزال امتدادات هذه المدرسة تعيش بيننا حتى الآن ، ولكن حدث فى مطلع القرن العشرين وأقطاب مدرسة شوقى مايزالون فى أوج عظمتهم ان ظهرت فى الافق اتجاهات ثورية جديدة فى عالم الشعر ، وكان أقطاب هذه الاتجاهات الجديدة تحدوهم ثقافتهم واطلاعهم على آثار الغرب الى القيام بثورة تخلص الشعر العربى من النمط التقليدى الذى ظل يسوده حتى ذلك الحين .

ثانيا ــ خليل مطران :

وفد خليل مطران على مصر للاقامة فيها فى عام ١٨٩٢ وكانت مصر تتمتع فى ذلك الحين بشىء من الحرية الصحفية ، وقد هاجر اليها كثير من احرار السوريين الذين فروا من الجو الخانق المخيم على شتى الولايات العثمانية والاستبداد الحميدى الجاثم على بلادهم (٢) ، وعاش مطران فى فرنسا ردحا من الزمن ولكن العيش لم يطب له فيها لان مكائد الاتراك تابعته هناك ، فنزح الى مصر ربما لانه وجد فى الوطنية المصرية صدى لما فى نفسه من نزعة الى الحرية والآمال طال كبتها فى صدره ، وكان خليل مطران من أوائل المجددين فى شعرنا الحديث وقد تأثر بالمدرسة الفرنسية فى الشعر ، ويحدد مطران منهجه فى التجديد بقوله : « اللغة غير التصور والرأى ، وان خطة العرب فى الشعر لايجب حتما أن تكون خطتنا بل للعرب عصرهم ولنا عصرنا ، ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا ، ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا تصورهم وشعورهم ،

---

(١) د . طه حسين ــ حافظ وشوقى ــ ص ٢٠ .

(٢) عمر الدسوقى ــ في الأدب الحديث . جـ ٢ ص ٢٥٢ .

وان كان مفرغا في قوالبهم محتذيا بمذاهبهم اللفظية (١) » وكذلك دعا مطران الى وحدة القصيدة وتماسك أبياتها ولعل فى قصيدته «المساء» أروع المثل على ذلك ، الا أن هـذا الفهم العميق للتجديد عند مطران كان يحد منه ميل مطران الى الدعة والهدوء وارضاء مختلف الاذواق، وفى مقدمة ديوانه الذى نشره فى ١٩٠٨ وضح مطران مذهبه الشعرى الجديد الذى دعا اليه ، وبين انه ابتدأ مقلدا ولكنه وجد فى الشعر المألوف جمودا أنكره ، فترك الشعر فترة ثم قال : « عدت اليه وقد نضج الفكر واستقلت لى طريقة فى كيف ينبغى أن يكون الشعر » (٢)

ويحدد الدكتور طه حسين منهج مطران فى التجديد بقوله « فمطران ثائر على الشعر القديم ناهض مع المجددين ، وهو قد سلك طريق القدماء فلم تعجبه فأعرض عن الشعر ثم اضطر فعاد اليه ، وحاول أن يعود اليه مجددا لا مقلدا ، وهو ينبئك بأنه يعرض عليك فى ديوانه شيئا من شعره القديم لتتبين به مقدار ماوصل اليه من التجديد، وهو متواضع لايزعم انه بلغ من التجديد مايريد وانما سيترك ذلك للذين سيأتون من بعده ، وهو معتدل فهو لايرفض القديم كله وانما يحتفظ بأصول اللغة واساليبها فى حرية ، كما يتأثر القدماء فى اطلاق فطرتهم على سجيتها ، وهو يكره هذا الشعر الذى تستقل فيه الابيات وتتنافر وتتدابر ويريد أن تكون القصيدة وحدة ملتئمة الاجزاء حسنة التأليف فيما بينها ، ثم هو فوق هذا كله مقتصد يرى أن الشعر ليس خيالا صرفا ولا عقلا صرفا وانما هو مزاج بينهما (٣) ، ذلك هو اذن التجديد الذى نادى به مطران ، وقد كانت تلك الدعوة المبكرة للتجديد هى بمثابة النذير الأول لتيارات التجديد وحركاته التى أتت بعد ذلك ، حقا أن مطران كان يحاول أن يرضى أيضا القديم وأنصار الجديد ، وحقا ان أصحاب الديوان الذين قاموا بالثورة الكبرى على أنصار التقليد لم يهاجموه لانه لم يكن شاعرا تقليديا ولم يعترفوا له بأستاذيته وتجديده وتطعيمه الشعر العربى بأصول واتجاهات الشعر الغربى وخروجه بالشعر من الذاتية الى الموضوعية وتطويع قوالبه وأوزانه للشعر القصصى والتصويرى والدرامى ، ومع ذلك فان عبقرية مطران لم يتبدد اريجها سدى بل لعل هذه العبقرية هى التى كانت نقطة البدء فى تطور الشعر العربى الحديث وتنوع فنونه وتجديد معانيه واتجاهاته (٤) .

وقد اختلف النقاد فى أثر مطران فى حركات التجديد فى شعرنا .

---

(١) عمر الدسوقى ــ في الادب الحديث ــ ج ٢ ــ ص ٢٥٢ .

(٢) عمر الدسوقى ــ في الادب الحديث ــ ج ٢ ــ ص ٥٠ .

(٣) د . طه حسين ــ حافظ وشوقى ــ ١٧ .

(٤) د . محمد مندور ــ الشعر المصرى بعد شوقى ــ الحلقة الاولى .

المعاصر ، حتى ان الاستاذ عبد العزيز الدسوقى ينكر فى رسالته عن جماعة أبولو أن يكون مطران هو رائد حركة التجديد فى شعرنا المعاصر ، ويرجع اجماع النقاد على ذلك الى دماثة خلق مطران ولين جانبه وأصالته النفسية مما جعل النقاد يجاملونه ويبالغون فى ريادته وتجديده (۱) ويستدل على ذلك بأن مطران متأثر بالصياغة التقليدية وديوانه ملىء بشعر المناسبات والمدائح ، وهذه الزاوية بالذات تهمنا فى بحثنا هذا عن ابراهيم ناجى لأن شعراء أبولو ــ وناجى من بينهم ــ قد أجمعوا على أستاذية مطران لهم ، وحسبنا أن نستمع لقول أحمد زكى أبو شادى «لولا مطران لغلب على ظنى انى ماكنت أعرف بعد زمن مديد معنى الشخصية الادبية ومعنى الطلاقة الفنية ووحدة القصيدة والروح العالمية فى الادب واثر الثقافة فى صقل المواهب الشعرية (۲) » ، بل ان شاعرنا ابراهيم ناجى يتحدث فى المقدمة التى كتبها لديوان أحمد زكى ابى شادى «أطياف الربيع» عن أستاذية مطران قائلا « اننا مدينون لخليل مطران بكثير من التوجيهات فى شعرنا العصرى، هو وضع البذور وفتح عيوننا للنور » . واذا كان الاعتراف هو سيد الادلة كما يقولون ، فهاهم شعراء ابولو يعترفون لمطران بالاستاذية والريادة ، وفى الحقيقة اننا لايمكن أن نتصور أن تصل بهم المجاملة لمطران الى حد أن ينسبوا اليه الفضل كله ويختاروه رئيسا لجماعتهم بعد وفاة شوقى ، دون أن يكون الرجل هو بالفعل رائدهم وأستاذهم الذى يستحق منهم كل هذا التكريم والعرفان .

ثالثا ــ جماعة الديوان :

كانت جماعة الديوان هى الجماعة التى حملت راية التجديد فى مطلع القرن العشرين ، ووقفت فى وجه حركة التقليد العاتية ، وراحت تحطم امارة شوقى الشعرية محاولة ازاحة شعراء التقليد من مكان الصدارة (۳) وكان أقطاب هذه الحركة : ــ شكرى والعقاد والمازنى ــ شبانا تأثروا بالثقافة الغربية وقرأوا روائع الادب الانجليزى فى مصادرها الاصلية ، وراعتهم الحالة التى كان الشعر العربى مايزال يعانيها من اهتمام بالغ بالصياغة اللفظية وانسياق فى النظم فى الأغراض التقليدية ، وكانت حركتهم النقدية فى «الديوان» الذى أصدره العقاد والمازنى هى أقوى حركة نقدية شهدها الشعر العربى الحديث ، وكان زعماء هذه المدرسة متمكنين فى اللغة الانجليزية ومعجبين كل الاعجاب بشعراء الرومانسية الانجليز وردزوورث وكولردج وشيلى وبيرون وكيتس

---

(۱) عبد العزيز الدسوقى ــ جماعة ابولو وأثرها فى الشعر الحديث .
(۲) الدسوقى ــ جماعة ابولو ــ ص ١٥٦ .
(۳) عبد العزيز الدسوقى ــ جماعة ابولو ــ ص ٧١ .

وسكوت ، وأخذوا يلتهمون كل ماأنتجوه فى نهم وشراهة وهم فى هذه السن التى تتفتح فيها المواهب وتوجه الملكات ، فتأثروا بهم فى الروح والمنهج وفهموا فهما جديدا مهمة الشعر على غير ماكان يفهمها شعراء العربية من قبل (١) ، وكان طابع هذه المدرسة الانجليزية البساطة فى التعبير وعدم التقيد بما كان يسمى (المعجم الشعرى) بل كانوا يؤثرون الكلمات المألوفة الشائعة الاستعمال ، ثم الاهتمام بالنفس الانسانية فى أبسط صورها، فلم يحتفوا بالملوك والامراء ورجال الحاشية والابطال كما كانت تحتفى المدرسة الكلاسيكية ، وانما فتشوا عن النفس الساذجة البسيطة التى لم يلوثها النفاق الاجتماعى والرياء والزيف وراحوا يسبرون أغوار نفوسهم ونفوس العامة من الشعب ويفصحون عما تكنه هذه النفوس فى دقة ووضوح ، كما أغرموا بالطبيعة غراما شديدا (٢) .

وقد كان شعراء هذه المدرسة وجدانيين ذاتيين ينبع شعرهم من قرارة نفوسهم وكان يغلب عليهم الحزن والكآبة والتشاؤم ، وعندما قرأ رواد الديوان لهذه المدرسة أصابتهم عدوى الحزن والكآبة وساعد على ذلك استعدادهم الشخصى لهذا الاتجاه وطبيعة العصر الذى عاشوه . ويقول العقاد على ذكر قصة لقائه بشكرى والمازنى : «فمن عجب التوفيق أن يكون شكرى فى الاسكندرية وان يكون المازنى فى القاهرة ، وأن أكون أنا فى أسوان ثم نلتقى على قدر ، وعلى اتفاق فيما قرأناه وفيما نحب أن نقرأه مع اختلاف فى حواشى الموضوعات » ولعل أدق تحديد لما رمت اليه مدرسة الديوان هو ماجاء على لسان شكرى فى مقدمة الجزء الخامس لديوانه :

« ينبغى للشاعر أن يتذكر ــ كى يجيء شعره عظيما ــ انه لايكتب للعامة ، ولا لقرية ، ولا لأمة ، وانما يكتب للعقل البشرى ونفس الانسان أين كان ، وهو لايكتب لليوم الذى يعيش فيه وانما يكتب لكل يوم وكل دهر ، وهذا ليس معناه أنه لايكتب أولا لأمته المتأثر بحالتها المتهيىء ببيئتها ، ولا نقول ان كل شاعر قادر على أن يرقى الى هذه المنزلة ، ولكنه باعث من البواعث التى تجعل شعره أشبه بالمحيط ، ــ ان لم يكن محيطا ــ منه بالبركة العطنة» .. ذلك هو ما تهدف اليه مدرسة الديوان من ترقية للشعر وتوسيع لآفاقه حتى يصبح معبرا عن نفس الشاعر وأمته والانسانية جمعاء ، واستطاعت هذه المدرسة أن تنفى الفكرة القائلة بأن الأدب القومى هو الأدب الذى تذكر فيه الظواهر والمعالم القومية بالأسماء والتواريخ والحوادث كما كان يفهمها جيل شوقى وحافظ ، واستطاعت أن تحل محلها الفكرة القائلة بأن الشعر الصادق هو الشعر

---

(١) ، (٢) عمر الدسوقى ــ فى الادب الحديث ــ ج ٢ ــ ص ٢٣٠ .

الذي يعبر عن كل نفس وبذلك يعبر عن المجتمع بأسره ، ويؤثر فيه ؛ ولذا نعده شعرا اجتماعيا وان لم يدون حادثا قوميا(١) ٠

وفي كتاب الديوان يصيح العقاد صيحته العاتية موجهـا الخطاب الى شوقي امير الشعراء : «اعلم ايها الشاعر العظيم ، أن الشـاعر من يشعر بجوهر الاشياء لا من يعددها ويحصي اشكالها وألوانهـا ، وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه وانما مزيته أن يقول ماهو ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به» ٠ وهي نفس الصيحة التي صاحها المازني ثائرا على المفهوم القـديم للشعر « ياضيعة العمر ، أقص على الناس حديث النفس وأبثهم وجد القلب ونجوى الفؤاد، فيقولون مأجود لفظه أو أسخفه كأني الى اللفظ قصدت !! وأنصب قبل عيونهم مرآة للحياة تريهم لو تأملوها نفوسهم بادية في صقالها فلا ينظرون الا الى زخرفهـا والى اطارها وهل هو مفضض أو مذهب أو هو مستملح في الذوق أو مستهجن»(٢) تلك هي الخطوط العريضة للثورة التي قامت بها مدرسة الديوان في عالم شعرنا العربي الحديث ، أما عن الاثر الفعلي لهذه المدرسة في المراحل التي تلتها من حياة شعرنا الحديث ، فلا شك انه أثر بالغ اذ قوضت كثيرا من المفاهيم الخاطئة وأحلت محلها مفاهيم جديدة أثرت في الشعر العربي وغيرت من طريقته ، ومع أن شـعراء الديوان لم يوهبوا الطاقات الشعرية الضخمة التي كان يتمتع بها شعراء التقليد الذين ظلت حركتهم مزدهرة تثمـل بموسيقاها النفـوس التي استكانت لهذا النوع من الشعر ، ومع أن بعض شعراء الديوان كانوا يعنون بالفكرة عناية كبيرة على حساب الصياغة والموسيقى اللفظيـة مما جعل اشعارهم تحمل طابع الجفاف والخلو من الانفعال الشعري الحاد ومع أن جماعة الديوان انشقت على نفسها بعـد أن دب الشقاق بين زعمائها ، اذ هاجم المازني شكري في الديوان هجوما قاسيا جعـله يعتزل الشعر والحياة ، وانصرف العقـاد الى الخصومات السياسـية يشارك فيها ، وبدد المازني طاقته الفنية في الصحافة بعـد أن اعتزل الشعر ، مع كل ذلك فان مدرسة الديوان قـد أثرت تأثيرا مبـاشرا في مجرى الحياة الادبية في مصر والشرق العربي والتقت في ذلك بتيارات أخرى أهمها تيار المهجر ٠

خامسا ــ المهجريون :

هناك في أمريكا شماليها وجنوبيها ، كانت تتردد أصداء معركة أدبية أخرى قوامها الشعراء المهاجرون من الشـام الى أرض الامريكتين

(١) عمر الدسوقي ــ في الادب الحديث ــ ص ٢٤٣ ٠

(٢) ابراهيم المازني ــ حصاد الهشيم ــ ص ٢٣٣ ٠

بحثا عن الحرية التى افتقدوها فى وطنهم تحت نير الحكم العثمانى ولم يكن غريبا أن ترتبط رغبتهم فى تحرير وطنهم برغبتهم فى تحرير الشعر العربى من القيود التى ظلت تغله عبر قرون وقرون ، فحـــاول هؤلاء المهجريون أن يجددوا على نمط الشعر الغربى لان الشعر العربى كان كما يقولون : «لسوء حظنا أن آدابنا العربية قصرت عن مجاراة الحيـــــاة لأجيال كثيرة فكان نصيبها الجمود والخمود ، فقد مرت بنا قرون ونحن لانجد نغمة نلحنها سوى نغمة القدماء ، فغزلنا تكلف ، وبكاؤنا بلا حرقة ولا دموع ، وحماستنا بلا شعور ، ومديحنا مغـــالاة واختلاق باختلاق فآدابنا جثة بلا روح لانها تحاول تقليد القدماء ناســـــية أن روح مصر وسوريا اليوم ليست روح عدنان وقحطان واليمن وبغداد أو غرناطة أو اشبيلية من ألف وألفى سنة» .. واذ اجتمعت هذه الثورة على الآداب القديمة مع الحرية النسبية التى لمسوها فى مهاجرهم فانهم استطاعوا أن يبدأوا ثورتهم على الاغراض الشعرية التقليدية ، بل انهم ثاروا على العروض والأوزان ثورة عنيفة(١) .

ويعلل الاستاذ عمر الدسوقى هذه النزعة الثورية لدى المهاجرين بأنهم ما ان هاجروا حتى شعروا بالحرية الواسعة ولا سيما حرية القول والعقيدة فانطلقوا على سجيتهم ، وأعتقد أن لهذه الحركة أثرا كبيرا فى نزعتهم الثورية على كل القيم فى بلادهم ، ولا سيما هؤلاء الذين هاجروا الى أمريكا الشمالية وعلى رأسهم جبران ونعيمة وعريضة ، لقد كان ذلك أشبه برد فعل للكبت الشديد الذى عانوه فى بلادهم وللحرمان المزرى الذى دفعهم الى ترك الوطن الحبيب (٢) .

وقد تفاوت حظ المهجريين من التحرر فنجد أن أعضاء الرابطـة القلمية التى تأسست فى نيويورك ســــنة ١٩٢٠ وعلى رأسهم جبران ونعيمة ونسيب عريضة وأبو ماضى ورشيد أيوب ، كان حظهم من التأثر بالأدب الغربى الرومانسى الذى يعزز النزعة الفردية والتعبير عن الذات وخلجات النفس أكبر من غيرهم ، واذا كانت جماعة الديوان فى مصر قد اتخذت من كتاب «الديوان» ميثاقا لها فان كتاب «الغربال» لميخائيل نعيمة يعتبر ميثـــاق المهجريين المعبر عن آرائهـــم واتجاهاتهــــم ، ويلخص ميخائيل نعيمة مايتطلبه المهجريون فى الأدب بأنه الحاجة الى الافصاح عن كل ماينتابهم من العوامل النفسية ، من رجاء ويأس وفوز وفشل ، وايمان وشك ، وحب وكره ، ولذة وألم ، وحزن وفرح ، وخوف وطمأنينة

(١) عمر الدسوقى ـ الادب الحديث ـ ج ٢ ـ ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .
(٢) عمر الدسوقى ـ الادب الحديث ـ ج ٢ ـ ص ٢١٨ .

وبأنه الحاجة الى النور الذى يهتدون به فى الحياة وهو نور الحقيقة ، والحاجة الى الاحساس بالجمال فى كل شيء ، والحاجة الى الموسيقى فى الفن وفى الطبيعة · وفى الغربال أيضا نجد أن نعيمة يرى أن التطور يقضى باطلاق التصرف للأدباء فى اشتقاق المفردات واطلاقها ·

وقد سبق أن ذكرنا أن حركة المهجريين قد التقت بحركة الديوان المقيمة فى مصر ، ولا شك أن الحركتين قد تبادلتا التأثير ، فهاهو العقاد يكتب مقدمة «الغربال» وهو الأساس النقدى الهام لحركة التجديد فى المهجر ، واذا كان الادب المهجرى قد بدأ يأخذ شكله وطابعه بعد أن استقرت حركة الديوان فى مصر ، فان المرجح أن تكون حركة المهجر قد استفادت كثيرا من حركة الديوان حيث حطمت لها هذه الحركة الاصنام الادبية ، وهيأت لانغامها تربة خصبة نمت فيها(١) ، واستطاعت حركة المهجر بعد ذلك أن تجد لها صدى كبيرا فى مصر والشرق العربى وأن يكون لها من الأثر فى الشعر العربى الحديث مالايمكن انكاره ·

---

(١) عبد العزيز الدسوقى — جماعة أبولو — ص ١٢٦ ·

الفصل الثانى

حياة الشاعر

تحدثنا فيما سبق عن المدارس الادبية السابقة على ناجى والجماعة الشعرية التى ينتمى اليها وهى جماعة «أبولو» وسنتحدث بالتفصيل عن تأثر شاعرية ناجى بكل هذه المدارس والاتجاهات. أما الآن فسنتحدث عن حياة ناجى ، فحياة الشاعر لا يمكن أن تنفصل بحال من الاحوال عن شعره والصورة الصادقة للشاعر هى تلك التى تجمع حياته وفنه ، لمحاولة التعرف على التأثير المتبادل بينهما ، فكما تؤثر حياة الشاعر فى فنه يؤثر فنه فى حياته كذلك .

ولد ابراهيم ناجى فى ٣١ من ديسمبر ١٨٩٨ ، وكان أبوه أحمد ناجى من أسرة «القصبجى» التى تعمل فى تجارة الخيوط المذهبة المعروفة بالقصب التى تطرز بها الملابس والستائر والاغطيية ، وبسبب انتساب ناجى الى هذه الأسرة التى تعمل بفن القصب يرجع الاستاذ العقاد هذه النزعة الفنية فى شعر ناجى التى يسميها بالدقة والرقة(١) ، فالفن يسير فى دم ناجى بانتسابه لتلك الأسرة ، ولكن أباه لم يعمل قط فى هذه الصناعة ،ويحدثنا الشاعر صالح جودت فى كتابه «ناجى حياته وشعره» عن ذلك قائلا «ان السيد ابراهيم القصبجى عندما ودع الدنيا تاركا طفليه محمد واحمد ، لم يكن قد ترك لهما من متاع الدنيا شيئا مذكورا ، ولم يكن نصيب أيهما من العلم الا قليلا وعندما نزح الشقيقان من القاهرة الى الاسكندرية طلبا للرزق عمل أكبرهما محمد فى شركة التلغراف(٢) ثم ألحق أخاه الاصغر أحمد بالشركة معه .. وسرعان ما تغيرت الحال بالصغير أحمد اذ كان فتى عصاميا لماحا طموحا قوى الذاكرةمفرط الذكاء ومقبلا على العلم والمعرفة ، فأجاد اللغة الانجليزية من اختلاطه بموظفى شركة التلغراف الانجليزية ـ فى ذلك الوقت ـ وتمر السنون بالفتى الصغير احمد ـ والد

(١) عباس العقاد ـ مقدمة ناجى حياته وشعره : صالح جودت ص ٩ .

(٢) صالح جودت حياته وشعره ص ٨ .

شاعرنا ــ فيزداد اقبالا على العلم والاطلاع ، فيجيد الفرنسية بعد الانجليزية ثم يجيد الايطالية وتجتمع له مكتبة ضخمة فى مختلف الآداب والعلوم والفنون والصناعات يرثها شاعرنا فيما بعد ، ويعتز بها أيما اعتزاز اذ هى مدرسته الأولى (١) .

ويظل احمد ناجى يرقى فى المناصب ويزود نفسه بمختلف الثقافات الدينية والدنيوية ويتردد على مجالس أعلام عصره من أمثال الاستاذ الامام محمد عبده ، حتى ينتهى الى منصب السكرتير العام لمصلحة التلغراف ، ولهذا الأب فى حياة شاعرنا أثر وأى أثر ، اذ يرجع اليه الاستاذ العقاد تلك الرقة العاطفية التى كانت الميزة الكبرى لشعر ناجى ، يقول عنه الاستاذ العقاد : «كان ذا شخصية قوية حازمة ، وكان رجلا محترما بين رؤسائه ومرءوسيه » .

ويمضى الاستاذ العقاد فى هذا التحليل قائلا : «فالشاعر ابراهيم لم يزل طول حياته يشعر بهذه الحماية ويتفقدها ويعيش فى ذلك الركن الركين من الرعاية والحنان الذى يثوب اليه طالب الدعة والشكاية(٢) من هنا ، من شخصية الأب القوية وميراث الأسرة العاملة فى الفن ، نتجت شخصية ابراهيم ناجى الوادعة الرقيقة ، وكان لابد أن يسير ناجى بشعره فى التيار الذى سار فيه التيار الرومانسى الذى يركن الى اللوعة والشكوى والأنين .

ولد ناجى اذن لهذا الاب المثقف القوى الشخصية ، وفضلا عن حب العلم والمعرفة الذى ورثه ناجى عن أبيه ، وكذلك الدأب على القراءة والذاكرة القوية والقدرة على تعلم اللغات ــ اذ أجاد الفرنسية والانجليزية والالمانية ــ فضلا عن كل ذلك ، فقد كان أبوه بالنسبة له هو الموجه والمرشد لما يجب عليه أن يقرأه ، فبعد أن التحق شاعرنا بمدرسة سبيل والدة محمد على سنة ١٩٠٤ وقضى فيها ثلاث سنوات، ثم انتقل الى مدرسة باب الشعرية الابتدائية وبدأ يتفوق على رفاقه ، حدث أن سمع أباه ذات ليلة يقص على أمه قصة أوليفر تويست لديكنز ، واستهوته القصة حتى انه أخذ يتابع أباه وهو يرويها ليلة بعد ليلة حتى كانت خاتمتها .. وطالما تمثل لناجى هذا الطفل المعذب أوليفر تويست فى نومه .. يقول ناجى : «ومرت سنتان قرأ لنا أبى فيهما غير ديكنز .. قرأ كونان دويل وهاجارد وغيرهما ، فكنت أجرب فى اخوتى طرق شرلوك هولمز ، وأخيفهم بما عرفته من هاجارد عن السحرة فى مجاهل افريقية » .

وعندما حصل ناجى على الابتدائية أهداه أبوه قصة دافيد كوبرفيلد

(١) صالح جودت حياته وشعره ص ٩ .

(٢) عباس العقاد ــ مقدمة ناجى حياته وشعره ص ٩ .

لشارلز ديكنز أيضا وأوصاه أن يقرأها كلمة كلمة وأن يستعين به فى فهمها (١) ، وقد كان. واذا كان شاعرنا قد قرأ لديكنز أوليفر تويست ودافيد كوبر فيلد فان ذلك قد صقل شعوره وزرع فيه الانسانية وعلمه التأمل والملاحظة ، واستطاع والده بهذه القصص وأمثالها أن يحببه فى الأدب وان يخلق منه شاعرا ٠

وفى الثانية عشرة من عمره بدأ الطائر الغرد أولى أهازيجه فنظم ناجى قصيدته الاولى وكانت فى الغزل ، والتفت أبوه الى شاعريته الغضة وبدا يقدم له دواوين كبار الشعراء لتعين فطرته الشاعرة ، فأهداه ديوان أحمد شوقى وديوان حافظ ابراهيم وديوان الشريف الرضى وخليل مطران والمتنبى ، ويعجب ناجى أكثر مايعجب بمطران وشوقى والشريف الرضى، وتبدأ موهبة الشاعر فى التفتح متأثرة بهذه النماذج المتباينة فيما بينها من حيث الاتجاهات والنزعات ، ويقرأ كذلك رواية «عذراء الهند» لشوقى ولعل أبرز ماقرأه الأب على ابنه فى تلك الفترة وأثر فى وجدانه هو قصيدة «المساء» لخليل مطران التى يقول فيها :

داء ألم فخلت فيــه شــــفائى	من صبوتى فتضاعفت برحـــائى
يا للضعيفين اســـتبدا بى وما	فى الظـــلم مثل تحكم الضعفاء
قلب أذابتــه الصبـابة والجوى	وغــــلالة رثت من الأدواء
والروح بينهما نســـيم تنهـد	فى حـــالى التصويب والصعداء
انى أقمت عـلى التعـــلة بالمنى	فى غـربة قالوا تكون دوائى
ان يشف هذا الجسم طيب هوائها	أيلطف النيران طيب هــــواء ؟
أو يمسك الحوباء حسن مقامهــا	هل مســكة فى البعد للحوباء ؟
عبث طوافى فى البـــلاد وعلة	فى عـــلة منفـــاى لاســـتشفاء

وتستمر رائعة مطران التى أثرت فى وجدان شاعرنا الصغير عـــلى هذا النمط الذى أثرى الشاعرية العربية بذلك الوجــدان المركب الذى يمتزج فيه الشاعر بالطبيعة امتزاجا تاما ٠

عرفنا أن ناجى كان متفوقا فى دراسته وانه كان قد فتح عينيه على روائع الكاتب الانســـان ديكنز تم التفت الى دواوين الشعراء العرب الذين قدمهم اليه أبوه ليكونوا رواده فى عالم الشعر والادب ، وعرفنـا أن شاعرنا قد بدأ يكتب الشعر وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وان أباه أحمد ناجى قام بدور كبير فى تكوين شخصية شاعرنا سواء رجع ذلك الى الشخصية القوية التى كان يتمتع بها هذا الأب أو الى العـــالم الجديد الذى فتح عينى ولده عليه ٠٠ عالم الشعر والأدب ٠٠ وسنمضى الآن مع ناجى نتابعه فى مجرى حياته بالقدر الذى نفيده من تلك المتابعة فى القاء الضوء على شاعريته ٠

(١) صالح جودت ص ٢٦ ٠

ففى المرحلة الثانوية بدأت شاعرية صاحبنا فى الوضوح ، وهاهو يبعث بأشعار الصبا الى رفاقه ، فالى صـــديقه «باروخ» كتب وهو فى السادسة عشرة من عمره قائلا :

أقاسى من فراقـــك ما أقاسى	أعنـــدك بالذى قاسيت عــــلم
وكابدت الأسى دهـــرا ولـــكن	حرام أن أكابـــده وظــــلم

وفى هذه الأبيات ضعف وتهافت يميز أشعار الصبا ، ومن أشعاره التى نشرت فى نحو هذه المرحلة من عمره أبياته «على البحر» :

هـــل أنت ســـامعـــة أنينى	يا غـــاية القلب الحـــزين
يا قبـــــلة الحب الخفى	وكعبـــة الأمـــل الدفـــين
انى ذكرتـــك باكيـــــا	والأفق مغبـــر الجبـــــين
والشمس تبـــدو وهى تغـــ	ــرب شبه دامعة العيـــون
أمســـيت أرقبهـــا على صخر	ومـــوج البحـــر دونى
والبحـــر مجنـــون العبـــا	ب يهيج ثائره جنـــونى

وفى هذه القصيدة نضج مبكر وفيها ذلك الجو العام الذى أصبح الطابع المميز لشاعرية ناجى فيما بعد ، ذلك الجو الرومانسى المفعم بالأنين والحزن وقبلة الحب الخفى والأمل الدفين ، ولعلنا لانبعد عن الواقع كثيرا اذا قلنا ان فى هذه القصيدة أيضا تأثرا بقصيدة مطران « المساء » التى سبق ذكرها ، وفى تلك الفترة يمر الشاعر بالاختيار الحاسم بين الاتجاه الأدبى أو العلمى ، ولعل أول مانتوقعه من شاعر أشرب حب الشـــعر والأدب منذ طفولته أن يتجه الوجهة التى تشبع ميوله الأدبية فيلتحق بالقسم الأدبى ، ولكن ناجى يخيب ظننا اذ يلتحق بالقســـم العلمى ، ولندع ناجى يحكى لنا بنفسه عن السبب الذى وجهه هذه الوجهة .. يقول (١) : «كانت نزعتى للأدب طاغية وكنت أعد نفسى لمستقبل أدبى ولم تكن عندى أية فكرة عن الناحية العلمية الرياضية غير أن الأقـــدار تلعب دورها بدون أن نعلم .

ففى السنة التى قررت فيها أن التحق بالقسم الأدبى أرسل الله لنا معلما سوريا لم يكد ينظر الى حتى توسم فى شيئا لا أعلمه ، جعله يؤمن بأننى قد أكون نابغة فى الرياضة ، فوجه اهتمامه الى وكان قاسية جدا اذ كان يضربنى ويشتمنى ، وكثيرا مادخل الفصل وهو ثمل ثم أخذ يبسط ظله بالضرب والتريقة والشتم واللعن ، وأنا صابر لاأتفوه بكلمة وكان رحمه الله طيب القلب يخفى خلف هذه القسوة نفسا من الذهب ،

---

(١) مقال ناجى ـ مجلة نقابة الاطباء ـ يوليو ١٩٥٩ .

فكان يلاطفنى بعد قسوته ويمد يده الى بواجبات خاصة منه ، ثم يعود فى اليوم التالى فيسألنى فى خشونة : «هل عملت الواجبات ؟ فلم أخيب ظنه مرة أخرى ، وكان تقدمى سريعا جعله يزهو ويفخر بى ، ثم أخذت قسوته تختفى وهو يقول : اطلع ياناجى اشرح لهم التمرين .

لقد كان تأثير هذا المعلم فى مستقبلى كبيرا فقد غيرت التحاقى بالقسم الأدبى والتحقت بالقسم العلمى ، ولتقدمى وتفوقى دخلت كلية الطب» .

وهكذا كان للمصادفة دور كبير فى تحديد اتجاه الشاعر فالتحق بالقسم العلمى ثم بكلية الطب ، وللاستاذ صالح جودت ملاحظة ذكية فى تفسير هذا الاتجاه ، وهى أنه : « حينما قر رأيه على هذا القرار كانت تراوده فكرة تعيش فى عقله الظاهر أو عقله الباطن أو فيهما معا هى أنه ولد ذا علة كما ولد أكثر أخوته ، وقد كانت هذه العلل تزعجه وتزعجهم وتملأ جو البيت قتاما حزينا ، ولهذا أراد أن يكون طبيبا رغم انصراف قلبه الى الادب ، لعله يستطيع يوما ما أن يقشع هذه السحب القاتمة من جو نفسه واجواء اخوته » (١)

وعلى أية حال وأيا كان السبب المباشر أو غير المباشر الذى دعا الشاعر الأديب الى أن يختار الاتجاه العلمى طريقا له ، فقد حدث ذلك وانتهى الأمر ، ولكن الشاعر الأديب لايمكن أن يتوارى بحال من الاحوال أمام الطبيب ولنسمعه يقول (٢) :

والناس تسأل والهواجس جمة	طب وشعر كيف يتفقان ؟
الشعر مرحمة النفوس وسره	هبة السماء ومنحة الديان
والطب مرحمة الجسوم ونبعه	من ذلك الفيض العلى الشان
ومن الغمام ومن معين خلغه	يجدان الهاما ويستقيان

فالطب والشعر يتفقان اذن فى جوهرهما الانسانى، وقد عرفنا أن أستاذ ناجى الاول فى الادب كان الكاتب الانسان تشارلز ديكنز ، وكذلك فان صفة الطبيب الانسان كانت هى ألصق الصفات بناجى الطبيب يشهد على ذلك مرضاه الذين كانوا يتزاحمون على عيادته لا لشىء الا لأنهم كانوا يلتقون هناك بانسان قبل أن يلتقوا بالطبيب ، وكثيرا ماكان يحول مرضاه بمقدرة عجيبة الى أصدقاء ، وان كان المريض فقيرا أبى طبيبنا الشاعر أن يتقاضى منه أجرا ، بل ربما اشترى له الدواء من ماله الخاص .

---

(١) صالح جودت ص ٤٤ .

(٢) ديوان ليالى القاهرة — ص ١٣٩ .

وفى شخصية ابراهيم ناجى التقى الأديب بالطبيب أوثق لقاء حتى انه ليقول: «أخذت أدرس الطب على طريقة فنية ، فقد كنت أبتدع لرفاقى الصور ، وأخترع لهم من فنون الكتابة ما يعينهم على الحفظ ، وظللت كذلك الى الساعة التى أكتب فيها هذا ، أزاول الطب كأنه فن ، وأكتب الأدب كأنه علم أى أراعى فيه المنطق والتحديد والوضوح» .

وبعد أن تخرج ناجى فى كلية الطب افتتح عيادة بالقاهرة لقى فيها نجاحا جاوز كل تقدير ، ثم عين بوظيفة فى القسم الطبى لمصلحة السكك الحديدية ونقل الى سوهاج ، ومنها الى المنيا ، ثم الى المنصورة فى سنة ١٩٢٧ ، وفى خلال تلك المراحل كان الطبيب يزداد تألقا ونجاحا فى مهنته وكان الشاعر يزداد نضجا وتعمقا وتأثرا بالتيارات الشعرية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت .

الفصل الثالث
شخصيته

من خلال شعر ناجي يمكننا أن نرى شخصيته المتميزة الفريدة ، شخصية الفنان القلق الحائر ، الذى يلهمه كل شىء فى هذا الكون ويحيره كل شىء فى هذا الكون أيضا ، كانت له تلك الشخصية التى تستهوى كل من يتصل به ، تلك الشخصية الخفيفة المجنحة التى لاتلبث أن ترف على الاشخاص والاشياء حتى تحلق فى أجواء غيرمنظورة يحفها الصمت والتأمل والصفاء . يقول الاستاذ ابراهيم المصرى : «تلتقى بالدكتور ناجى فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك وتصافحه فكأنما يفتح صدره لك وتجلس اليه وكأنك فى حضرة روح حائرة ، وتستمع لحديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراءة نفسه وسلامة طويته وعذوبة صوته وبراءة محياه (١) » على أن هذا السمو والطهر والبراءة انما كانت فى رجل هزيل متوسط القامة منكمش الاعضاء أصلع مقدمة الرأس ، ناعس العينين ، أشبه بالصورة التى نعرفها للشاعر الايطالى دانتزيو ، يمشى وكأنه يتعثر ، يصمت وكأنه غير موجود ، يقبع فى ركن من القهوة وغليونه فى فمه وكأن سنة من النوم قد استغرقته ، ثم يتكلم بغتة ويفيض ، ولا يفتأ يتحرك ويتلفت يمنة ويسرة ويلوح بذراعيه تلويحا عصبيا متداركا ، فتحس لفورك رحابة نفسه واضطرابها وضيقها بما تحمل ، وتسمعه يجادل ويحتد وصوته أبدا صريح وجبينه أبدا منبسط والابتسامة الرقيقة لا تفارق شفتيه (٢) ، فاذا ما داعبه انسان بنكتة ، وجده سريع البديهة حاضر النكتة ، جم الحيوية ، يضحك ضحكات حرة عريضة كأنما الفرح كله قد اجتمع فى فؤاده وكأنه قد نسى فى لحظة واحدة كل ما تحمله روحه من هموم الحياة .

وربما كان أغرب مافى هذه الشخصية الفريدة أن الانسان يحار فى توجيه أى نقد خلقى اليه ، فهو يحب الجميع ويخلص للجميع ويخدم

---

(١) ابراهيم المصرى ـ صوت الجيل ـ

(٢) نفس المصدر .

الجميع ولا يداهن ولا يغتاب ولا يشى ولا يتكبر ، حتى كبرياء الفنان المعتز بفنه لم تكن لتتحول مطلقا فى اطار هذه الشخصية الفريدة الى أى نوع من أنواع الكبرياء أو الغرور • تروى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد حادثة صغيرة توضح لنا اعتزاز ناجى بفنه قالت :

«دعته مرة محطة الاذاعة المصرية ليسجل ملحمته المعروفة «الاطلال» فأرسل اليها نسخة منها ، وقد سجلها مديرها فى ذلك الحين فى شريط استغرق نصف ساعة ، وأذيعت الملحمة مرارا دون أن يفاتح الاذاعة فى القيمة المادية لتسجيل الملحمة واذا بالاذاعة تعرض عليه مائة وخمسين قرشا ، أتدرى ماالذى فعله ناجى ؟ لقد غضب الفنان من أجل فنه الذى صاغه من قلبه وروحه ثم ارتخصته محطة الاذاعة فذهب الى مدير الاذاعة وقال : « ان هذا ثمن تفريدك لا ثمن شعرى أنا ، وكان هذا آخر عهده بالاذاعة » لم يكن ذلك غرورا وانما هو كبرياء الشاعر الفنان واعتزازه بفنه ••

وكان ناجى الى جانب ذلك سريع الانفعال كثير الاوهام قلق الظنون طاغى الحس رفاف النفس رقيق المشاعر ، وكانت كل تلك الصفات الشخصية تظهر فى صاحبها ، فى حديثه ، فى شعره ، فى قسمات وجهه وما أسلوبه المتوثب النابض بالحركة الا صدى لما يعتمل فى صدره من مشاعر وأحاسيس •

يقول الاستاذ الدسوقى أباظه عن شعر ناجى : «وهناك ظاهرة تسيطر على هذا الشعر من ألفه الى يائه ، تلك هى انك لاتستطيع أن تلمح فيه ظلا لشاعر غير الدكتور ناجى ، فهو فيه بذاتيته وطابعه وطريقة تفكيره وألوان عاطفته ونوازع تصوره ، لافى شعر الحب فحسب بل أيضا فى المناسبات والمداعبات » وربما كان هناك بعض التمييز بين شخصية ناجى فى احدى القصائد وشخصيته فى قصيدة أخرى ، ومرجع ذلك الى ثقافته الواسعة الشاملة التى أثرت أيما تأثير فى انتاجه وان لم تخرج به عن أصالته ودلالته على صاحبه •

وشاعرنا كبير النفس ، رحب الصدر ، سباق الى تضميد الجراح وبذل المعروف ، واذا أردنا أن نضيف شيئا الى تلك الملامح المتميزة لشخصية ناجى ، فاننا نقول ان الدكتور ناجى كان يعشق الجمال ، أينما وجد هذا الجمال ، فى الطبيعة •• فى الناس •• فى الاشياء •• وفى أية صورة •• بل انه كان يستطيع أن يستخرج من القبح الظاهرى

جمالا ننيا رائعا ، كتب مرة الى أحد الصحفيين قائلا : «الجمال أيها المحرر العزيز هو ذلك الشيء المبهم الذى يطالعك من عينين ولو ذابلتين فينتزع اعجابك وأنت لا تدرى بالضبط لماذا ؟ » وهو يعجب بالجمال فى الحياة وكذلك فى الآثار الفنية والادبية ، فقد كان ناجى يعتبر الفنان والأديب هما اللذان يجلوان لنا العالم لنحس بجماله ويستخرجان لنا من مظاهره العادية الجمال البارع المستتر فيها ، وكما كان ناجى شاعرا يحب الجمال فقد كان واحدا من هؤلاء الفنانين الذين وهبهم الله القدرة على جعل غيرهم يحسون بالجمال ، وكم فى شعر ناجى من آيات جمال تخلب الأفئدة وتستهوى النفوس ٠

الفصل الرابع
ناجي بين سابقيه ومعاصريه

لم يخلق الشاعر الذى يصنع شاعريته من عدم ، بل ان كل شاعر جديد بهذا اللقب لابد أن تلتقى بذور الشاعرية فى وجدانه بشاعرية سابقيه ومعاصريه ، واذا كنا أحيانا نفاجأ بكاتب أو شاعر يزعم انه لم يتأثر بأحد قبله ، فان قوله هذا باطل من أساسه ومرجعه الى شيء من الغرور يكمن فى أعماق كل عبقرى معتد بعبقريته ، وشاعرنا الذى نتعرض له اليوم كان النتيجة الطبيعية للحركات الادبية التى سبقته وكان كذلك متأثرا الى حد كبير بسابقيه ومعاصريه من الشعراء واذا سرنا مع النتيجة المنطقية الى حد أبعد من هذا ، فاننا نقول انه أيضا كان له تأثير كبير على لاحقيه من الشعراء •

وقد عرفنا قبل أن نعرض لحياة ناجى أن الشعر العربى فى الفترة التى بدأت فيها براعم ناجى فى التفتح كان يمر بمرحلة نهوض نتجت عن اتصال المثقفين العرب بالثقافة الغربية وارتيادهم لمناهلها ، واذا عدنا الى هذه المرحلة فى ايجاز ، فاننا نذكر أن الشعر العربى كان يعانى طوال العصرين المملوكى والتركى حالة من الركود والموات الى أن هيأ الله له البارودى فبعثه من مواته وأعاد للشعر العربى روحه التى فقدها منذ بدأت عصور الانحلال ، وبعد البارودى كان هناك امتداد لحركته مع بعض بوادر التجديد ويمثل هذا الامتداد شوقى والذين نهجوا نهجه ولكن حركة مزدوجة أشبه ماتكون بالانقلاب خرجت الى حيز الوجود فجأة فغيرت من واقع الشعر العربى الكثير وتمثلت تلك الحركة المزدوجة فى جماعة الديوان فى مصر وفى المهجريين بالمهاجر الامريكية ، ولا ننسى فى خلال ذلك الشاعر المجدد خليل مطران الذى التقى بالثقافة الفرنسية ولكنه أخذ يجدد فى صمت وتأن حتى لايفاجىء السليقة العربية بشىء تستهجنه •

ومن تلاطم هذه الحركات الشعرية والادبية ظهرت جماعة جديدة من بين أعلامها ناجى ، تلك كانت جماعة أبولو ، وعلى رأس هذه الجماعة كان هناك الدكتور احمد زكى أبو شادى رائد الجماعة وموجهها ، واذا

علمنا أن أبا شادى كان من جيل يصغر جيل مطران وزعماء الديوان قليلا ويكبر رفاقه فى جماعة أبولو قليلا أيضا ، فاننا نستطيع أن نعده هو حلقه الوصل بين الجماعة التى كونها وبين ماسبقها من حركات وتيارات شعرية أو أنه يمثل الارهاص لميلاد تيار أبولو ، فلا شك أنه كان متتبعا لحركه التجديد التى قادها اصحاب مدرسة الديوان وكان متجاوبا معها وقد اعترف صراحة بأن العقاد وشكرى والمازنى قد حرروا الشعر العربى من الجمود والتقليد وانهم أوشكوا أن يغنموا الموقعة الادبية التى غنمها شوقى ومطران(١) ، بل ان أبا شادى يشارك من لندن فى المعركة التى دارت بين اثنين من زعماء الديوان ـ شكرى والمازنى ـ والتى اتهم شكرى فيها المازنى بسرقة أشعار كبار الشعراء الانجليز ونسبتها الى نفسه ، ونشرت المقتطف مقالا لأبى شادى يحمل رأيه فى هذا الصراع ، فأبوشادى رائد الجماعة اذن كان متتبعا لكل مايدور حوله وهو فى فترة الاعداد والنضج بل اننا عندما نقرأ شعر أبى شادى نلمح فيه ظلال كثير من الشعراء الذين قرأ لهم من القديم والجديد والبيئات التى اندمج فيهـا وأبوشادى نفسه يقول : «أدين فى الروح الادبية العامة الى مدرسة الظاهر الصحفية منذ سنة ١٩٠٥ وقد شملت أعلام الأدب : احمد شوقى ومحمد كرد على وعبد القادر المغربى وخليل مطران ، وأدين فى الروح الشعرية بصفة خاصة الى خليل مطران ثم الى احمد شوقى بين شعراء العربية ، وفى الادب الغربى تأثرت كثيرا بووردزورث وشيلى وكيتس وهينى من الشعراء وبويلز وأرنولد بنيت من الادباء(٢)» .

واذا صرفنا النظر عما يعترف به أبو شادى صراحة ، فاننا نجـد أنفسنا أمام فرض واحد لايقبل الجـدل هو انه تأثر بكل التيـارات المعاصرة له ، فهو بجانب تأثره بالبارودى وشوقى نجده يعترف بتأثير شكرى عليه حتى ينظم فيه قصيدة منوها بفضله على الشعر ثم هو كثيرا مايردد انه متأثر كل التأثر بمطران ، وبالنسبة لمطران فان علينـا أن نقف قليلا لنتبين حقيقة تأثر أبى شادى ومن ورائه شعراء أبولو بمطران فقد أجمعوا على ذلك وأجمع النقاد أيضا على أثر مطران فيهم ، وقد سبق أن ذكرنا قول أبى شادى « لولا مطران لغلب على ظنى انى ماكنت أعرف الا بعد زمن مديد معنى الشخصية الأدبية ، ومعنى الطلاقة الفنية ووحدة القصيدة والروح العالمية فى الادب وأثر الثقـافة فى صقل المواهب الشعرية» ، ويخاطبه أيضا فى قصيدة منزلة الخليل بقوله :

يجلك قدرا شاعر بعـد شاعر ... وتوقظ عمرا أمة بعـد أمة
وما عابنى اطراء حبى وانمـا ... أعبـر عن دينى وانشر ملتى

(١) عبد العزيز الدسوقى ـ جماعة أبولو ـ ص ١٦٠ .
(٢) عبد العزيز الدسوقى ـ جماعة أبولو ـ ص ١٥٦ .

ويعلل الاستاذ عبد العزيز الدسوقى اصرار شعراء أبولو على اعلان تأثرهم بمطران بأن الصراع كان عنيفا بين جماعة الديوان ممثلة فيالعقاد وشكرى والمازنى وبين شعراء التقليد من أمثال شوقى وحافظ والرافعى وكانت المعارك الادبية بين الفريقين قاسية جارحة وكان خليـل مطران يقف على الحياد بين الجميع يصادق الجميع ويحاول أن يرضى الجميع، وفى هذا الجو كان شعراء أبولو يتفتحون ويتطلعون الى المجـد الادبى فآثروا أن يلوذوا بكنف مطران ليستمتعوا بالدعة والامن ، وان كان هذا لا يعنى انهم أغلقوا آذانهم فلم يستمعوا الى هذه الافكار الجديدة التى كان ينادى بها اصحاب جماعة الديوان أو يتأثروا بهم على نحو ما ، ونحـن نوافق الاستاذ الدسوقى على أن الجو النفسى الذى أحاط بشعراء ابولو كان هو الدافع الأساسى لهم لأن يتكوكبوا حول مطران الرقيق الحاشية الوادع النفس لانهم اصطدموا بالفعل بدعاة مدرسة التقليد ، ثم اصطدموا بعد ذلك بأحد زعماء الديوان ــ وهو العقاد ــ فى معارك مريرة قاسية ملأت نفوسهم بالقلق والتشاؤم ، ونوافق الاستاذ الدسوقى أيضـا على أنهم لا يمكن أن يكونوا قد أصموا آذانهم عن الافكار الجديدة لجماعة الديوان، بل اننا نرى انهم لا بد قد تأثروا بمدرسة الديوان وما سـعت اليه من تجديد أبلغ التأثر ، وخلاصة القول ان جماعة ابولو كانت النتاج الطبيعى لكل حركات التجديد مجتمعة ، ففضلا عن خليل مطران تأثر شـعراء ابولو بحركة الديوان وحركة المهجر بالاضافة الى صلتهم المباشرة بالثقافة الغربية ، وفى ذلك يقول ناجى بعد ذكره لتأثير مطران عليهم ، « ونحن انما زدنا على ذلك بمـا عرفنا من مطالعاتنا المتعددة وساعدنا على ذلك عرفاننا باللغات المتباينـة التى وقفتنا على التيـارات الجديدة للآداب والفنون » .

وقد عرفنا فيمـا مضى ان ناجى كان يقرأ ديكنز منذ صباه وانه اتصل بالشعراء العرب الاقدمين والمعاصرين فى فترة صباه أيضا ثم يذكر لنا ناجى أيضا انه قرأ قصة « التلميذ » لبول بورجيه وهو ما يزال صبيا يافعا .. قرأها لانه أحب فتاة معجبة بها ، وكانت وسيلته للتودد اليها هى أن يقرأ معها تلك القصة رغم تعثره فى الفرنسية آنذاك ، ونعلم بعد ذلك ان ناجى قرأ شعراء الرومانسية الانجليز أمثالبيرون وشيلى وكولردج ووردزورث بل وترجم بعض تراثهم ، وما يقال عن ناجى يقال أيضا عن أبى شادى وعن كل شعراء تلك الفترة ، فترة ابولو وما سبقها فيما عدا امتدادات شعراء التقليد .

ولنحاول أن نتبين الطابع الرومانسى الذى كان يغلب على شـعراء أبولو فاننا نحاول التعرف على حقيقة العصر الذى عاشه هؤلاء الشعراء ، فبعد أن فشلت ثورة ١٩١٩ وتحول الكفاح والنضـال القومى الى تهريج

حزبى واطماع ومآرب وتحطمت آمال الشـــباب وعصفت بهم الاحداث والكوارث رأينـــاهم ينطوون على أنفسهم فى مرارة وحزن ويهرعون الى الطبيعة يبثونها مكنون وجدانهم ويلقون فى أحضانها ما فى نفوسهم من مرارة ويأس وتشاؤم ، كما راحوا يعبرون فى ألم عما يصطرع فى نفوسهم من أهـــواء ونزوات وتمردوا على مصيرهم وراحوا ينكرون كل القيـــم ويتساءلون عن الهدف من حياتهم وما مصيرها ؟ وتكوكب هذا التيار حول أبى شادى الذى انتهى به المطاف الى تكوين جماعة أبولو هـــذه ، ولعل العصر الذى خرجت فيه جماعة أبولو الى النـــور والذى يبدأ بعد فشل الكفاح الشعبى سنة ١٩١٩ يشبه أكبر الشبه ذلك العصر الذى لمعت فيه الرومانسية فى الادب الغربى ، أى بعد فشل الثـــورة الفرنسية وتحطم الآمال والاحلام التى كان الادباء والشعراء يعلقونهـــا على تلك الثـــورة وما انتابهم بعد ذلك من يأس ومرارة وتشاؤم ، حتى ان شعرهم أصبح مليئا بالانين والشكوى وحتى قالوا ان خير الشعر ما كان انات خالصة ، فالطابع الرومانسى اذن كان هو الطابع الغالب المسيطر على شعراء أبولو وان التقى فى أحيان كثيرة باتجاهات أخرى من أهمها الرمزية ٠

ولنحاول أن نلقى على جمـــاعة أبولو مزيدا من ضوء لنستطيع أن نتبين من خلال ذلك الضوء مكانة ناجى الكبيرة وسط شعرائها ، بل اننا سندع ناجى يحدد لنا ملامح الجماعة بنفسه ٠٠٠ يقول : « ولا جدال فى ان مدرسة أبولو فى اتصالها بالادب العالمى ومتابعتها للتيارات الفكرية الجديدة وفى ايمانها برسالتها كمجددة للشعر العربى٠٠ موسعة لاغراضه محددة لوظيفته كعمل انسانى شامل وكجامعة تضم أدباء الشرق فى ندوة واحدة ، ان مدرسة أبولو قد استرعت الانظار فهى تمثل طلاقة الفن كما تمثل التجاوب الفنى بين أعضائها ، وهما الركنان الاصيلان لروعة الحياة الفنية التى هى عمل الشعر الحى فى كل أمة ، ومآل مثل هذه الحركة أن تنهض بالشـــعر العربى فى غير حدود(١) » ، ولم يكن التجديد فى نظر شعراء أبولو مجرد معنى غامض يحاولون البحث عنه ٠ وانما كان شيئا يملأ نفوسهم وخواطرهم ، وكانوا يعبرون عن نزعتهم الى التجديد فى جلاء ووضوح عن طريق انتاجهم الشعرى بمختلف اتجاهاته ، ويمكننا تلخيص دعوتهم الى التجديد بالدعوة الى الوحدة العضوية للقصيدة ، والدعوة الى التحرر فى التعبير والانطلاق الفنى واســـتقلال الشخصية الادبية بحيث تبدع وتبتكر وتعكس الحيـــاة والطبيعة ولا تجتر النمـــاذج والاغراض الشعرية القديمة ، وكذلك الدعوة الى البعد عن شعر الاغراض والمناسبات التى استنفدت فى الشعر العربى القديم والحديث ، ولنحاول كذلك أن نحدد ملامح أبولو من خلال أقوال علم آخر من أعلامهـــا وهو أبو القاسم الشابى ، يقول : « ان المدرسة الجديدة تدعو الى حرية الفن من كل قيد

---

(١) الدسوقى ــ جماعة أبولو ــ ص ٣٢١ ٠

يمنعه من الحركة والحياة » ويقول بصـــــورة أكثر تحديدا : « ان هذه المدرسة الحديثة لم تصبح مذهبا واضح الحدود والمعالم ، ولكنها مازالت ثورة مشبوبة هائمة وايمانا قويا عميقا ، ثورة فى سبيل حرية الشعر وكماله وايمانا بسمو الغاية وجلال المبدأ ، أجل هى ثورة ما زالت تختلط فيها المطامح والميول وتضطرب أصول المذاهب اضطراب البذور فى حميل السيل (١) » ، ولم نجد فى كل الأقوال والمجادلات التى ترددت فى حياتنا الادبية منذ ظهور أبولو ما هو أصدق مما قاله عنها الشابى ، وبالفعل فقد أثارت ـ كأى حركة قوية ـ ثائرة الكثيرين ، اذ ان الشعراء التقليديين قد ضايقهم الى حد كبير ظهور حركة شعرية قوية من شعراء الشباب الذين أثروا فى الحياة الأدبية وملئوها ، وكذلك فان الاستاذ العقاد وهو من رواد التجديد فى الجيل الســـابق عليهم أخذ يكيد لهم ويغرى بهم تلاميذه ومريديه واستقبل دواوينهم بالنقد العنيف فى «الجهاد» وحتى الآن مازالت جمـــاعة أبولو تثير الكثير من الجدل والنقاش ، فيقول عنهـــا أستاذنا الدكتور محمد مندور « ان جمعية أبولو لم تتكون على أســـاس مذهب شعرى محدد وهى لا تختلف عن غيرها من الجمعيات التى يكون الغرض منها تشجيع فنون خاصة كالأدب والشـــعر » ثم يمضى الدكتور مندور قائلا « وايا ما كان الامر فالذى لا شك فيه ان هذه الجمعية ومجلتها قـد خلقت فى مصر جوا شـــعريا عاما لا يقتصر فى وحيه على التراث العربى القديم ، بل يتطلع أيضا الى الآداب الاجنبية ويستفيد منها بحيث أثر هذا الجو حتى على الشعراء الذين لم تتح لهم معرفة اللغات الاجنبية (٢) » .

أما الدكتور شوقى ضيف فيقول عنها ـ انها جماعة «تفتقد التخطيط الفنى منذ أول الامر ، ليست كجماعة الجيل الجديد السابقة التى حملت مذهبا أدبيا بعينه ضد شعراء البعث وظلت تدافع عنه آمادا طويلة وتنتج تحت شعاره دواوين من ذوق معين ووجهة معينة ، وضمت هذه الجماعة شعراءنا الذين صدحوا بقصائدهم بعد ثورتنا الاولى ١٩١٩ .. ولكن المهم انها لم تضع أمامهم منهجا معينا فى صناعة الشعر ونظمه ولذلك لم يكتب لها البقاء طويلا (٣) » واذا وافقنا على أن جماعة أبولو كانت جماعة تفتقر الى التخطيط الفنى بمعنى ان شعراءها جميعا لم يصدروا عن مذهب أدبى معين بل تباينت نزعاتهم ومذاهبهم ، فاننا نلاحظ ان هنـــاك طابعا عاما مشتركا يضم كل شعراء الجمـــاعة وهو الطابع الرومانسى بالاضافة الى التعبير الرمزى عن طريق الايحاء والصورة الشعرية ، ولندع أبا شادى نفسه يحاول أن يحدد لنا الخطوط العامة المشتركة بين شعراء الجماعة اذ يقول : « كانت مدرسة أبولو من أغنى المدارس الشعرية فى أى عهد اذ

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق ص ٣٣١ .
(٣) عبد العزيز الدسوقى ـ ص ٢٧٥ .

انها جندت مواهب ممتازة ومتباينة والفتها وخلقت انسجاما وأى انسجام من التباين الظاهر ، فجمعت بين شعراء موهوبين مبدعين آمنوا بالرمزية والسيريالية والرومانسية والواقعية وغيرها على درجات شتى ، وان ندر بينهم من اقتصر شعره على مذهب من هذه المذاهب » وخلاصة القول هو ان شعراء أبولو ومن بينهم ناجى قد قفزوا بشـــعرهم الى حرية الاوزان والتعابير واستوعبوا شتى الأخيلة والاطياف والمعارض والثقافات ، فمن شعرهم نجد المدارس الادبية الغربية ممثلة أصدق تمثيل ومن ترجماتهم نجد روائع الشعراء الغربيين التى كانت تستهوى نفوسهم الحزينة الطامحة وترضى نزعاتهم الذاتية على اختلاف أنواعها ، ومن الابحاث والدراسات التى نشروها فى مجلتهم نجدهم قد تناولوا بالدراسة والتحليل كثيرا من الشعراء والفنانين من مختلف الاتجاهات والاقطار ، وكذلك نجد هنـــاك دراسات عن الرومانسية والرمزية وغيرها من المذاهب الادبية التى أثرت فيهم (١) .

---

(١) المصدر السابق — ص ٢٨ .

الفصل الخامس
ناجي شاعر الوجدان الذاتي

سبق أن أوضحنا في الصفحات السابقة ان ظروف الحياة التي عاشها شعراء أبولو الشباب حتمت عليهم أن يجيء شعرهم ذاتيا يتسم بهذه النزعة العاطفية ، وأوضحنا كذلك ان الظروف السياسية المظلمة والاحوال المضطربة في تلك الفترة هي التي أرهقت نفوسهم واصابتهم باليأس والحزن والتشاؤم أو ما يمكن أن نسميه بداء العصر ، ذلك الداء الذي أصيب به من قبل شعراء الرومانسية في أوروبا ، وعلى ذلك فقد أصبح تيار أبولو كله عبارة عن تيار رومانسي وجداني يهتم بتصوير التجربة الذاتية . ويهمنا الآن أن نتبين مكانة ابراهيم ناجي وشاعريته بين أفراد الجماعة باعتبار ان أي شاعر لا يفهم الا من خلال عصره ومن خلال تجارب سابقيه ومعاصريه .

ابراهيم ناجي هو بحق رائد التجارب الوجدانية الذاتية بين شعراء أبولو فشعره كله — الا بعض قصائد قليلة — غناء عاطفي حزين كله شجن وألم والتياع ، وناجي روح عاشق متعطش للحب دائما ، ولعل ذلك راجع الى فشله في حبه الاول أو الى ان هذا الحب الاول جعله يرسم لحبه صورة مثالية خيالية مسرفة لا يمكن أن تتحقق في عالمنا المادي ، ولذلك ظل ناجي طوال حياته يبحث عن الحب كأنه الطائر المتوجس لا يستقر على غصن الا لينتقل الى غصن آخر باحثا عن زهرة الحب الابدي التي لم يصادفها مطلقا طوال طوافه بالحدائق والبساتين .

واذا كنا قد عرفنا طابع العصر الذي عاشه ناجي وما فيه من دوافع ملحة تدعو للوحدة والشكوى والتمرد ، فان علينا أن نرجع مرة أخرى لنلم بحياة ناجي أو على الاخص بالجانب العاطفي فيها ، فالى هذا الجانب وحده يرجع كل ما في شعره من دموع وألم حتى ليكاد يصبح شعر ناجي كله شعر حب يتربص به الفشل ، فهو يبكي مصرع حبه دائما ويعيش على الذكريات وعلى وجه الدقة ، يعيش على ذكريات ربما لم يكن لها في أي

يوم من الايام وجود حقيقي الا في قلبه المفعم بالمشاعر الخصبة الفياضة ، ويستغرق هذا اللهاث وراء الحب شعر ناجي كله حتى لا نكاد نلمح في شعره بارقة أمل ، وحتى ليصبح ناجي بحق هو شاعر الوجدان الذاتي بين شعراء أبولو ، وحتى ليقول عنه الاستاذ أحمد الصاوي محمد في مقدمته لديوان وراء الغمام : « يكاد يكون ديوان ناجي قصيدة واحدة وقصيدة حب » وحتى ليصفه أبو شادي بأنه « شاعر اللهفة » ويصفه الدكتور مندور بقوله « ناجي قصيدة غرام » ·

نشأ شاعرنا في شبرا عندما كانت شبرا مليئة بالحقول المترامية وتجرى بها الترعة البولاقية ، ولم يكن هناك في منطقة سكنه المسماة بمدينة الاحلام سوى سبعة بيوت لسبعة من وجهاء القاهرة الذين ضاقوا بضوضاء المدينة فأقاموا بيوتا لسكناهم هناك بين الزرع والماء قبل أن يمتد العمران الى شبرا فيحيلها الى جزء آخر من أجزاء القاهرة ، هناك نشأ الشاعر في جو ملئ بالمناظر الطبيعية التي تثرى النفس وتخصب الشاعرية ، وهناك كان حبه الاول في أحد هذه البيوت السبعة ـ كما يذكر الاستاذ صالح جودت ـ ولا ندرى ألسوء الحظ أم لحسنه أن خلق هذا الحب فاشلا منذ البداية ، فلقد تعذب شاعرنا بفشله طوال حياته ولكنه أنتج للعربية شعرا من أروع الشعر الوجداني فيها ، كان هذا الحب من جانب واحد هو جانب الشاعر ، وظل يكبر في وجدان الشاعر حتى ملك مشاعره وطارد خياله طوال حياته على الرغم من يأسه منه ، ويكفي أن نقول ان هذا الحب كان مصدر الهام ناجي في كل ما كتب من شعر حتى عندما كان يقول الشعر في قصص حب أخرى لم تكن الا صدى لقصة الحب الاولى والاخيرة في حياته ·

وهذا الحب الاول والاخير هو الذي أنتج لنا قصيدة « العودة » التي قال عنها الدكتور مندور انها من روائع النغم الحديث وانها تقطع بأن الدعوة الى التجديد كانت قد نضجت واستقام فهمها ·

يترل ناجي في العودة :

هذه الكعبة كنا طائفيها	والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها	كيف بالله رجعنا غرباء

***

دار أحلامي وحبي لقيتنا	في جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهي كانت ان رأتنا	يضحك النور الينا من بعيد

***

رفرف القلب بجنبي كالذبيح	وأنا أهتف يا قلب اتئد

فيجيب الدمع والماضى الجريح لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعــــد

***

لم عدنا أو لم نطو الغــرام وفرغنـــا من حنين وألــم
ورضينا بســكون وســلام وانتهينـــا لفراغ كالعــدم

***

أيهـــا الوكر اذا طار الاليف لا يرى الآخر معنى للســـماء
ويرى الايام صـــفرا كالخريف نائحـــات كرياح الصـــحراء .

***

آه ممـــا صنع الدهر بنـــا أو هـــذا الطلل العابس انت
والخيال المطرق الرأس أنـــا شـــد ما بتنا على الضنك وبت

***

أين ناديك وأين الســــمر أين أهلوك بســـاطا وندامى
كلمـــا أرسلت عينى تنـــظر وثب الدمع الى عينى وغامـــا

***

موطن الحسن ثوى فيه السأم وسرت أنفـــاسه فى جـــوه
وأناخ الليـــــل فيه وجثـــم وجرت أشـــباحه فى بهـــوه

***

والبلى أبصرته رأى العيـــان ويداه تنسجـــان العنـــكبوت
صحت ياويحك تبدو فى مكان كل شىء فيه حى لا يمـــوت

***

كل شىء من سرور وحـــزن والليـــالى من بهيـــج وشجى
وأنا أســـمع أقـــدام الزمن وخطى الوحدة فـــوق الدرج

***

ركنى الحانى ومغناى الشفيق وظلال الخلد للعـــانى الطليح
علم الله لقـــد طال الطريق وأنا جئتـــك كيمـا أستريح

***

وعلى بابـــك ألقـــى جعبتى كغريب آب من وادى المـــحن
فيـــك كف الله عنى غربتى ورســـا رحلى على أرض الوطن

***

وطنى أنت ولـــــكنى طريد أبدى النفى فى عــــالم بؤسى
فاذا عـــدت فللنجوى أعـــود ثم أمضى بعـــد ما أفرغ كأسى

***

فى هذه القصيدة ، عندما يعود الشاعر الى البيت الذى شهد قصة حبه الكبير فيجده اطلالا لا يملك الا أن يطلق زفراته التى تتراوح بين الحنين الطاغى والشكوى المستسلمة الى اليأس الممض ، وتذكرنا القصيدة بفن شعرى عربى قديم هو « البكاء على الاطلال » ، ولكن شتان بين الجو الذى صوره الشاعر فى قصيدته هذه وبين الجو القــــديم فهنا قصيدة متماسكة تنتظمها وحدة عضوية متينة ، والشاعر يعبر أيضا عن تجربته تلك عن طريق الصور الرمزية التى جسم فيهــا الاشياء ، فالوحدة تدب بخطاها فوق الدرج والبلى ينسج العنكبوت بيده ، فكأنه بذلك قد حرك الوحدة وأيقظ الزمن ونفخ فى الاطلال نفسها حياة وأية حياة ، وفى نهاية القصيدة ختام فاجع تشع منه المرارة والتسليم ·

هذه الرائعة من شعر ناجى ، بل هذه الرائعة من الشعر العربى على الاطلاق يرجع الفضل فى الهام الشاعر بها الى حبه الاول الكبير وسنقدر هذا الحب الفاشل حق قدره عندما نعرض للمزيد من اشعار ناجى ، فهذا الحب كما قلنا هو الملهم الاول لكل ما قاله ناجى من شعر الحب ، وهل قال ناجى غير شعر الحب ؟

ولكن لم كل هذه اللهفة من ناجى على الحب ونحن نعرف انه كان زوجا لسيدة من فضليات النساء وأنه كان أبا لثــلاث بنات يحبهن كل الحب ، وقبل أن نجيب على هذا التساؤل ينبغى علينا أن نسأل أولا عن السبب فى عثار حظ ناجى فى حبه ، ولماذا كان الشاعر شهيدا فى محراب الحب دائم الشكوى والألم من عثار حبه ·· ؟

يعلل الدكتور أحمد هيكل ذلك فى المقدمة التى كتبها لديوان ناجى الذى جمعته وزارة الثقافة بأن طبيعة ناجى وظروف نشأته وحياته قـــد ساعدت جميعا على هذا الاتجاه ، فطبيعته كانت طبيعة شديدة الشفافية ومفرطة الحساسية فيها كثير من الانطواء المقاوم والحياء المغالب ، ونشأته كانت نشأة فيها صقل وتهذيب بين بيئة ذات طابع روحى يوشـــك أن يكون تصوفيا وذات تقليد اجتماعى يكاد يكون انفصاليا ، ثم هو قـــد حفظ ديوان الشريف الرضى واتصل منذ أول عهد التأدب ببعض انتــاج الرومانتيكيين الانجليز ، وأخيرا كانت ظروف حياة الرجل وكلها ظروف كان من شأنها انماء طبعه الرومانتيكى وتعميق مجراه فى نفسه ، فالرجل لم يكن على حظ من طول القامة كما لم يكن على قسط من الوسامة ، وانما كان ضئيل الجسم قصيرا كبـــير الرأس تلمع تحت جبينه العريض عينان

واســـعتان مستديرتان كثيرتا الشرود والاغضاء ثم تنبسط تحت أنفه الكبير شفتان عريضتان يزيدهما الابتسام عرضا وبسطا ، هذا مع صوت غير بين النبرات ومخارج حروف غير واضحة المعالم ، فاذا كان ذلك الاطار يضم روحا طموحا شديد الشفافية وقلبا كبيرا دائم الحنين ونفسا عظيمة كثيرة المطالب ، عرفنا كيف عانى الشاعر من الصراع داخله وخارجه .
ويعلل الدكتور أحمد هيكل فشـــل ناجى فى حبه الاول بأن فتاة أحلامه رفضته لأنها لم تجده على الهيئة المحببة لدى النساء ، وكان هذا الرفض هو سبب احساسه الدائم بالحرمان وشعوره بالظمأ ، فهو يحس بالحرمان نحو كل امرأة جميلة ، وكانت لهفته تلك تجعل النساء يعاملنه كطفل .
كفنان .. كشاعر .. كانســــان طيب ولكنهن فى الغالب لم يعاملنه كحبيب .. ربما كانت تلك هى عقدة حياة ناجى فعـلا تلك العقدة التى عمقت احساسه وأفعمت وجدانه الرومانسى بالاحاسيس فضلا عما أشرنا اليه من ظروف نشأته وثقافته .

ولكن هذا قد لا يجيب على تساؤلنا عن سر لهفته على الرغــم من زواجه بســـــيدة فاضلة وانجابه لثلاث فتيات حبيبات الى قلبه كفيلات باحاطته بجو من السعادة العائلية ينسيه حرمانه ، ولكننا نحس أن هذا التســـاؤل لا يجوز اطلاقا ، فمن قال ان ناجى لم يكن سعيدا فى حياته المنزلية ؟ لقد وهبه الله زوجة واسعة الافق كانت تسمعه دائما ينشد شعر الحب والغزل ولكنها أبدا لم تقف فى سبيله لتسأله فيمن هذا الكلام ، انها تعرف أنها زوجة شاعر وان الشاعر لا بد له من أن ينطلق فى كل الآفاق ، ولم تكن زوجة مثلها لتقف حائلا دون عبقرية زوجهـــا الشاعر الكبير .

اذن فهذا هو حب ناجى الكبـير الذى عاشه بكل خلجات روحه على الرغم من يأسه منه وقد تضامنت روحه المحلقة وثقـــافته الرومانتيكية الواسعة مع هذه التجربة لتخلق لنا قصائد بل لوحات نفسية تعبر عن صاحبهـــا أصدق التعبير .. ولنحاول الآن أن نتصفح معا دواوين ناجى لنتلمس جوانب هذه النفس الغنية بالعواطف والانفعالات ، علينا الآن أن نلم بأشعاره التى كانت ذوب روحه وعصارة فؤاده ففى هذه الأشـــعار وحدها يتجسد أمامنا ناجى بكل خلجاته وبكل طاقاته الشـــعرية المبدعة ومشاعره الانسانية العميقة ، واذا كان الناقد الفرنسى بيفون يقول « ان أسلوب الرجل هو الرجل نفسه » فاننـــا نستطيع أن نعرف « ناجى » كشاعر وكانسان من خلال ما كتبه من أشعار ...

ففى قصيدة « الناى المحترق » يقول ناجى :

كـــم مـــرة يا حبيبى	والليـــل يغشى البرايا
أهيم وحدى وما فى الـ	ظــــلام شـــاك سوايا

أصير الدمع لحنا	واجعل الشعر نايا
ما أتعس الناى بين	المنى وبين المنايا
أظل أطلب منه	سلوى تبل صدايا
وهل يلبى حطام	أشعلته بجوايا
النار توغل فيه	والريح تذرو البقايا
ما زال يشدو حزينا	مرجعا شكوايا
مستعطفا من طوينا	على هواه الطوايا
ادنو اليه وتدنو	من ثغره شفتايا
اذا بحلم كذوب	واستيقظت عينايا
ورحت أصغى وأصغى	لم الف الا صدايا

فنحن هنا بازاء تجربة شعرية ذاتية يهيم فيها الشاعر فى الظلام وحده مازجا بين شعره ودمعه وكانهما من نبع واحد هو نفسه الجياشة ، ثم هو يجعل نايه رمزا لأيامه الخالية . فهو يستدعى هذه الايام بذكرياتها ويحلم باستعادتها ولكن الناى حطام أحرقه الشاعر بحزنه . وعندما يتذكر الشاعر محبوبه ويدنو اليه ليقبله اذا هو يفيق على الحقيقة المرة. وهى انه انما كان يحلم وان الحقيقة المرة ما زالت كما هى ، ومن هذه القصيدة تبرز نزعة ناجى ونزعة شعراء جيله فى الهرب من دنيا الواقع المرير .

وفى هذه القصيدة بالذات تلمح الوجدان الرومانسى للشاعر متلاقيا مع التعبير الرمزى ليعبر عن تجاربه تعبيرا مليئا بالصور والايحاءات .

واذا كان ناجى هو شاعر التجربة الذاتية الذى قضى العمر كله فى التعبير عنها ، فانه أيضا كان يلمس بحكم ثقافته الواسعة ومشاعره الانسانية الفنية ما فى تجارب الآخرين من عمق وانسانية بل انه ليعطينا صورة رائعة لتجربة احدى الراقصات فى قصيدة « قلب راقصة » ، ولعل هذه القصيدة بالذات هى خير ما نستشهد به فى هذا المجال لان جدلا كثيرا قد ثار حولها . والآن يهمنا أن نورد القصيدة لنلمس فيها الناحية الانسانية باعتبارها تجربة ذاتية للشاعر من ناحية ، وتجربة انسانية عامة من ناحية أخرى :

يقول ناجى فى (قلب راقصة) :

أمسيت أشكو الضيق والأينا	مستغرقا فى الفكر والسأم
فمضيت لا أدرى آلى أينا	ومشيت حيث تجرنى قدمى

***

فرأيت فيما أبصرت عينى	ملهى أعد ليبهج الناسا

يجـــلون فيه فرائد الحسن ويبـــاع فيه اللهو اجناســـا

***

بغرائب الالـــوان مزدهر وتراه بالأضـــواء مغمـــورا
فقصـــدته عجـــلا ولى بصر شـــبه الفراشة يعشق النورا

***

ودخلته أجتـــاز مزدحمـــا بالخلق أفـواجا وأفـــواجا
وأخوض بحـــرا بات ملتطما بالناس أمواجـــا وأمواجـــا

***

ويمضى الشاعر فى وصف رواد الملهى وثورتهم وتوثبهم ، ثم يغرى نفسه بمحاكاتهم الى أن يقول لنفسه :

أنـــظر تر الســـيقان عارية وتر الخصـــور ضوامرا تغرى
وتجد عيـــون اللهـــو جارية فهنـــا الحياة وأنت لا تدرى

***

من هـــذه الحسناء يا عينى الســـحر كللهـــا وظللهـــا
كالطـــير من غصن الى غصن وثابة ، وثب الفؤاد لهـــا

***

وانتظر الغادة الحسناء حتى آخر الليـــل فمضى يدعوها الى لقاء - ولكنها اعتذرت وأمهلته الى الغد ...

حان اللقـــاء بغـــادتى وأنا أخشى سرابا خادعا منهـــا
متلهفـــا أستبطىء الزمنا وأظل أسأل ساعتى عنهـــا

***

وأجيـــل عين الريب ملتفتـــا متطلعـــا للبـــاب حـــيرانا
وأقـــول ما يدريك أى فتى هى فى ذراعى حبه الآنـــا

***

من ذا يصـــدق وعد فاتنـــة لا ترحـــم الأرواح اتلافـــا
أنثى تـــلاقى كل آونـــة رجلا ، وترمى الوعد آلافا

***

وهممت بعـــد اليأس أن أمضى فاذا بهـــا تختـــال عن بعد
ميزتهـــا بشبابهـــا الغض وبقـــدها ، أفـــديه من قد

***

يا للقـــلوب لملتقى اثنـــين لا يعلمـــان لأيما ســـبب
جمعتهما الدنيـــا غريبين فتآلفـــا فى خـــلوة عجب

***

عجبـــا لقـــلب كان مطمعه طربا ، فجـــاء الأمر بالعكس

وأشـــد ما فى الكون أجمعه بين القـــلوب أواصر البؤس

***

من انت يا من روحها اقتربت مني وخاطب دمعهـــا روحي
صبته في كاسى ، وما سكبت فيه ســـوى أنات مذبـــوح

***

عجبا لنـــا ، في لحظة صرنا متفـــاهمين بغير ما أمـــد
يا من لقيتك أمس هـــل كنا روحين ممتزجين فى الأبـــد ؟

***

هاتى حديث السقـم والوصب وصفى حقـــارة هذه الدنيـــا
انى رأيت أســـاك عن كثب ولمست كربك نابضـــا حيـــا

***

لا تكتمى فى الصـدر أسرارا وتحـــدثى كيف الأسى شـــاء
أنا لا أرى اثمـــا ولا عـــارا لـــكن أرى امرأة وبأســـاء

***

تجـــدين فكرك جد مبتعـــد والنـــاس نحو سناك دانونا
وترين حالـــك حال منـــفرد والقـــوم كثر لا يعـــدونا

***

وترين أنـــك حيثمـــا كنت ترضـــين خوانين انـــذالا
يبغـــونه جسدا ، فان بعت بذلوا النضار وأجزلوا المـــالا

***

يا حرها من عبرة ســـالت من فاتـــك العينين مكحـــول
وعذابهـــا من وحشة طالت وحنين مجهـــول لمجهـــول

***

أفنيت عمـــرك فى تطلبـــه ويكاد يأكل روحـــك الملـــل
فـــاذا بدا من تعـــجبين به وتقول روحك : ها هو الأمل

***

أدميت قلبـــك في تقـــربه والقـــلب ان يخلص يهن دمه
فاذا حســـبت بأن ظفرت به فازت بـــه من ليس تفهمـــه

***

سكتت وقد عجبت لخلوتنـــا طالت كأنا جـــد عشـــاق
وأقـــول يا طربا لنشوتنـــا صرعى المدامة والجوى الساقى

أفـــديك باكيـــة وجازعة قـــد لفهـــا فى ثوبه الغسق
ودعتهـــا شمســـا مودعة ذهبت وعندى الجرح والشفق

***

تمضى وتجهـــل كيف أكبرها اذ تختفى فى حالك الظـــلم
روحـــا اذا ائمت يطهـــرها ناران نار الصـــبر والألـــم

تلك هى قصيدة « قلب راقصة » حذفنا أقلهـــا ونشرنا أكثرها ، ونحن الآن نحس بروعة التجربة الانسانية التى خاضها ناجى فى قلب تلك الراقصة كغيرها من الراقصات اللاتى يعشن فى أضواء صناعية ، وقلوبهن تخفق فى ظلام ليل لا يأملن فى انقضائه ، وفى القصيدة نلمح الانسان الشاعر ، فهو لم ينظر الى الراقصة نظرة عبث ولهو ولكنه ينظر اليهـــا كانسانة تقـــاسى أعنف الألم بينما هى تضحك وتبيع السرور والوهم ، ولعل أروع ما يصور حال تلك الراقصة وأية راقصة أخرى هو قوله :

تجـــدين فكرك جد مبتعـــد والناس نحـــو سناك دانونا
وترين حالـــك حال منفـــرد والقـــوم كثر لا يعـــدونا

فناجى شاعر الوجدان الذاتى لا يقصر مطلقا فى أن يحيا فى تجارب الآخرين كأعمق ما تكون الحياة ، وحتى لتصبح تجربة الراقصة هذه هى احدى تجارب الشاعر الذاتية وحتى ليبدع فى وصف مشاعر تلك الراقصة وكأنه أحس هذه المشاعر ذاتها وعاناها معاناة حقيقية . والشاعر يعبر فى القصيدة كذلك أدق تعبير عن نفوس مرتادى المراقص وما يثور فيهـــا من انفعالات .

ومن أوائل القصائد التى نشرها ناجى فى مجلة أبولو قصيدته : (حنين) :

أمسى يعـــذبنى ويضنينى شوق طغى طغيـــان مجنون
كيف الشـــفاء ولم يعد بيدى الا أضـــاليل تداويـــنى
أغدو كمـــا أهوى أفصلهـــا وأحوكهـــا خدعا تنســـينى
ابغى الهـــدوء ولا هدوء وفى صدرى عبـــاب غـــير مأمون
يهتـــاج ان لج الحنـــين به ويئن فيـــه أنين مطعـــون
ويظل يضرب فى أضـــالعه وكأنهـــا قضبان مســـجون
ويـــح الحنـــين وما يجرعنى من مره ويبـــيت يســـقينى
ربيتـــه طفـــلا بذلت له ما شـــاء من خفض ومن لين
فاليـــوم لمـــا اشتد ساعده وربا كنـــوار البســـاتين
لم يرض غـــير شبيبتى ودمى زادا يعيش بـــه ويفنيـــنى
كم ليـــلة ليـــلاء يتبعنى لا يرتضى خـــلا له دونـــى
الفى له همســـا يخـــاطبنى وأرى له ظـــلا يمـــاشينى

متنفسا نارا أحس بهـــا	وكأنهـــا لفـــح البراكين
ويضمنا الليـــل العظيم وما	كالليـــل مأوى للمســاكين

وفي هذه القصيدة نلمح الكثير من الصـــور الجديدة على الشعر العربى ، فالشاعر لا يكتفى بأن يعبر عن الحنين الذى يملأ جوانحه ويعذبه ويضنيه ، بل انه يبعث هذا الحنين حيا ، يجسده انسانا يشاركه حياته، رباه طفلا حتى كبر واشتد ساعده فأخذ يعيش على شبابه ودمه ويتنفس نارا تحرق صديقه الشاعر وهذه الفكرة : فكرة تجسيد المشاعر ومنحها صفات البشر وأفعالهم هى من الافكار الجديدة تماما لدينا ، ولا غرابة فى أن تصدم هذه الصورة مشاعر النقـاد فيقـول الدكتور طه حسين فى (حديث الاربعاء) :

« ما أشد ما كنت أحب للشاعر أن يعرض عن هـــذه الفكرة التى لا تستقيم للعقل وهى أن الحنان قد يعظم حتى يتجسم ويصبح شخصا ، فى هذا المعنى الغريب نظم الشاعر قصيدة لا أريد أن أعرض لها لأنى أرى هذا المعنى نفسه يفسدها افسادا ، فالحنان يعظم حتى يملأ القلب ويغمر النفس ويؤثر فى حياة الانسان ، فاما انه يتجسم فيصبح شخصا فهـــذا كلام قد يفهمه الشعراء ولكن فهمه عسير على النقاد (١) » .

وعلى الرغم من هذا النقد الذى وجهه الدكتور طه حسين الى هـــذه القصيدة فاننا لا نشعر ـ ولعل القراء يوافقوننا على ذلك ـ بأية غرابة فى أن يظل الحنين يؤرق الشاعر ويعذبه حتى يتوهمه شخصا ، بل حتى يراه بالفعل شخصا يعايشه ويضنيه بمرافقته ، بل ان للصورة التى لجأ اليها الشاعر جمالها من حيث انها نقلت الينا مشـــاعره مجسدة نكاد نلمسها بأطراف أصابعنا .

واذا سرنا مع الشاعر بعد ذلك فى تيار قصـــائده الوجدانية فاننا نلمس الروح اللهيفة على الحب والمشاعر العميقة الحزينة المنطوية ، ففى ديوان «ليالى القاهرة» لابراهيم ناجى نجد قصيدة «رسائل محترقة(٢)» .

ذوت الصبابة وانطـــوت	وفـــرغت من آلامهـــا
لكننى ألـــقى المنـــــ	ـــايا من بقـــايا جامهـــا
عـــادت الى الذكريـــــ	ـــات بحشدها وزحامهـــا
في ليـــلة ليـــلاء أرقـــ	ـــنى عصيب ظلامهـــا
هدأت رســائل حبهـــا	كالطفـــل فى أحلامهـــا
فحلفـــت لارقـــدت ولا	ذاقت شـــهى منامهـــا

---

(١) د . طه حسين ـ حديث الاربعاء ـ ج ٣ ـ ص ١٦٥ .

(٢) ابراهيم ناجى ـ ليالى القاهرة ـ ص ٦٨ .

أشـــعلت فيهـــا النار تر	عى فى عـــزيز حطامهـــا
تغتـــال قصة حبنـــا	من بدئهـــا لختامهـــا
أحرقتهـــا ورميت قلـــ	ـــبى فى صميم ضرامهـــا
وبكى الرمـــاد الآدمـــ	ـــى على رماد غرامهـــا

فهنا يحكى الشاعر قصة حبه الكبير الذى طالما أضناه ، وهو هنا لا يحكى لنا بصورة تقريرية مباشرة عن أمله وعذابه ولكنه يصور نفسه وقد فرغ من الألم والغرام وان شيئا لا يؤرقه سوى بقايا هذا الحب تذكره به على الدوام ، فهذه رسائلها راقدة تذكره بها وها هو ينقض على الرسائل يشعل النار فى (عزيز حطامها) وعندما تحرق النار قصة حبه فانه يحس بقلبه هو الآخر يحترق فى قلب النار ، ومن هنا نعرف أن الشاعر على الرغم من كل شىء مقيم على حبه لأنه يصور نفسه وكأنه قد احترق حتى أصبح رمادا آدميا يبكى على رماد رسائل محبوبته ، وربما كانت محاولتنا لتصوير الأثر النفسى الناتج عن قراءة هذه القصيدة محاولة قاصرة ٠٠ لأن فى هذه القصيدة وأمثالها من القصائد الرومانسية المتخفية فى ثوب شفاف من الرمزية لا يكون الانفعال الا من شفة الشـــاعر مباشرة لأن الشاعر لا يصرح بكل شىء وانما هو يوحى الى القارىء بجانب من أحاسيسه تاركا له أن يشاركه فى تصور هذه الأحاسيس بل وصنعها ٠ والقصيدة من وجدانيات ناجى الرائعة وتتوهج فى جو قصصى جذاب وانفعال وثاب حساس ووحدة قوية ويعدها الاستاذ السحرتى من مفاخر شعرنا العربى :

ولعلنا ندرك اهتمام ناجى بالرمزية اذا عرفنا أنه درسها دراسة وافية حتى أنه ترجم ديوان (أزهار الشر) لشارل بودلير ٠ وكانت الترجمـــة مصحوبة بدراسة عن الشاعر الرمزى بودلير ٠ وفى القصيدة التالية ظلام ونور نلمح تأثر ناجى بالاتجاه الرمزى ٠٠٠ يقول :

نزل الظلام فلات حين مقـــامى	لم يبق غير مدامعى وســـلامى
هبط العقـــاب على الديار فلفنى	فى جنحـــه وأظلنى بقتـــام
والسيل قد غمر المدائن والقرى	وطغى كما يطغى العباب الطامى
نفسى تحـــدثنى بأنى مغـــرق	لا حول لى فى لجـــه المترامـــى
فلأى أرض بعـــد أنقل متعبـــا	قدمى وأحمـــل هيكلى وحطامى
ضـــاقت على الأرض وهى مفازة	فوق امتداد الظن والأوهـــام
سكنت سكون القبر ثم تناوحت	فيها الرياح كســـاهر بسقام
ثكلى اذا أنت أحس كأنهـــا	راحت تدوى فى صـــميم عظامى
كفاك أوماتا الى وقالتـــا	من للرميـــة يقتفيها الرامـــى
فنفضت عنى الموت وهو ملازمى	حيث التفت فما أراك أمـــامى
اجتـــاز أى كتائب مرصوصـــة	وأشق نحو حماك أى زحـــام
سد من الدنيا ومن أغلالهـــا	وعوائر الألباب والأفهـــام
فاذا خلونا عاودتنـــا ســـاعة	رقد الهوى فى ظلها البســـام

هلت على أفق الحيـــاة ونورت وتألقت لى خــــاطر الأيام
كم من رؤى عزت على تكشــفت فرأيتهـــا بنواظر الالهـــام
وسعادة شردت وعز منالهـــا فقنصتها فى نشــوة الأحــلام
وعرفت ما طعم الهـدوء أنا الذى لم ألق ســاعة راحة وســلام

ففى هذه القصيدة نلمس الجو الرمزى المبهم الملىء بالايحاء ، ونلمس العاطفة الحارة المتدفقة ونحس أن الشاعر قد نقلنا الى عالم خاص رسمه لنا ، فالظلام ينزل والعقاب يلف الديار بجنحه والسنيل يطغى ويغمر المدن والقرى . والشاعر يحس أنه مغرق متعب تائه فى الأرض الواسعة كأنها أوسع من كل ظن . والرياح تنوح وتدوى حتى لكأنها تدوى فى صميم عظام الشاعر ، وينقلنا الشاعر الى الجو الذى أراده حتى نراه ينتقل الى حلوة حبيبته فتبسم له الدنيا ويعرف طعم السعادة والهدوء ، واذا عدنا ثانية الى ديوانه « وراء الغمام » ، فان اول ما يلتفت اليه نظـــرنا من القصائد ، قصيدة « الميعاد » ، لا لأنها تعبر عن روح الشاعر ، والجو الذى يفضل أن يحلق فيه فحسب ، بل لانها تجمع الى شفافيتها وامتلائهـــا بالرمز والجو الرومانسى الحزين ، تجمع الى ذلك صدى للوعة الشاعر على حبه الكبير ، الذى كان ملهمه ، فى كل ماقاله من شعر .

ان عدت أو أخلفت لم تعـــد أنا الف روحك آخر الأبـــد
ظمـــأ على ظمـــأ على ظمـــأ ومـــــوارد كثر ولم أرد
مر الظلام وأنت لى شـــجن وأتى النهـار وأنت فى خلدى
لا يسمع البحر الغضوب الى شـــاك ولا يصغى الى أحـــد
كم لاح لى حـرب الحيـــاة على أمواجـه المجنـــونة الزبد
ورأيت طيف الضنك مرتســما فى عاصف الأنواء مطـــرد
فى الليـــل مـد رواقه وثوى كجوانح طويت على حسد
قبر مبـــاهجه بلا عـــدد لفتى متاعبـــه بلا عـــدد
من يومـــه يوم بـــلا أمل وغد بلا سلوى وبعـــد غد
لولاك والعهـد الذى عقـــدت بينى وبينـــك مهجتى ويدى
اضجعت جنبى جوف غيهبـــه وأرحت فيـــه بالى الجســـد
يا مخلف الميعـــاد عــــد لترى جزع الغريب وضيعة الرشـــد
ولياليـــا موصولة ســـهرا أيدية حجـــرية الكبـــد
وطليح أســـفار وعلتـــه قتـــالة لم تشــف فى بلد
ياشـــعر أيامـــى وأغنيتى وغليل ظمآن الشــفاه صـــدى
يا ظالمى عينـــاك كـــم وعدت قلبى اذا شـــفتاك لم تعـــد

ومع طابع الحزن العميق الذى يغلف هذه القصيدة ومع استسلام الشاعر لأشجانه فاننا نرى فى القصيدة من الصور الشعرية ما يكفل لنا أن نشعر بما عاناه الشاعر فى تجربته تلك من غير ما حاجة الى أن يعرض

لنا الشاعر جراحه التي تنزف دوما في صورة تقريرية مباشرة لا تسعفنا في تمثلنا لمشاعره الجياشة .

واذا كنا نحاول عن طريق هذا العرض لقصائد ناجي ، أن نتبين ملامحه من خلال شعره ، فان أول ما يلفت نظرنا هو تلك الروح الشفافة المجنحة التي تنتظم شعره من أوله لآخره . وهذه الصفة بالذات هي التي يلمح اليها الاستاذ ابراهيم المصري في كتابه (صوت الجيل) اذ يقول :

« تلتقي بالدكتور ناجي فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك ، وتصافحه فكأنما هو يفتح صدره لك وتجلس اليه وكأنك في حضرة روح حائر ، وتستمع لحديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراءة نفسه وسلامة طويته، وعذوبة صوته وبراءة محياه، فتذهل ويتضاءل شخصك في عين نفسك ويعز عليك نقصك ولا يرضيك في النهاية الا يقينك بأن الخير الذي غادرك استقر في سواك وتمثل نابضا حيا في قلب هذا الشاعر » .

وناجي نفسه يقول :

سموت كأنما أمضي	الى رب ينـاديني
فلا قلبي من الأرض	ولا جسدي من الطين

***

سموت ودق احساسي	وجزت عوالم البشر
نسيت صغائر الناس	غفرت اساءة القدر

وهذا السمو الذي يستشعره الشاعر في نفسه ويصفه صدقا لا فخرا ، كان هو ميزة شخصيته وميزة شعره أيضا ، وشعر ناجي هو ناجي نفسه ، بل ان (ناجي) يقول :

« الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة وأشرف منها على الأبد وما وراء الأبد ، هو الهواء الذي أتنفسه ، وهو البلسم الذي داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة .. هذا هو شعري . »

ففي قصيدته « كبرياء » يقول ناجي :

وحبيب كان دنيا أملي	حبه المحراب والكعبة بيته
من مشى يوما على الورد له	فطريقي كان شوكا ومشيته
من سقى يوما بماء ظامئا	فأنا من قدح العمر سقيته
خفق القلب له مختلجا	خفقة المصباح اذ ينضب زيته
قد سلاني فتنكرت له	وطوى صفحة حبي فطويته

فهو هنا يصرخ صرخة كبرياء ويثور على استسلامه لقدره ولمحبوبه ولكنها في نظرنا ليست صرخة كبرياء بقدر ما هي صرخة دواء ، انه يعالج

حبه بأن يقنع نفسه ولو للحظة بأنه يستطيع أن يسلو محبوبه ، وما كان رحمه الله بالذى يستطيع أن يسلو بل انه ما كان يقتات الا على الحـــب وما أقرب الحقيقة الى قوله فى (ملحمة السراب) ٠

زرتنى كالربيـــــع فى موكب	الزهر له روعـــــة وفيه رواء
ولك الوجه أومض الحسن فيه	والتقى السـحر عنده والذكاء
ولك الجيد أتلعاً أودع الصـــا	نع فيه من قدرة ما يشـــــاء
قد من مرمر وشعشعه الفجـــــ	ـــر بورد وصب فيه الضياء
وأنا الطـائر الذى تستبى نفـ	ـسى السماوات والذرى الشماء
راشنى صـــائد رمانى فأدمـا	نى وولى الجـانى وعاش الداء

فهو طائر صاده الصياد فأدماه ، ثم انصرف عنه تاركا له جراحه ومع أنه فى هذه القصيدة يرسم صــــورة حسية للمحبوب الا أنه قلما كان يفعل ذلك ، ولو بحثنا عن الغزل الحسى فى شـــعر ناجى لوجدناه لا يكاد يكون له وجود ، فهو لا ينظر الى المرأة تلك النظرة المشتهية وانما ينظر بمثالية روحانية ويبحث فى كنفها عن السمو والالهـــام ٠ ومن القصائد القليلة التى تلمح فيها أثرا من هذا الغزل الحسى قصـــــيدته « العائد » اذ يقول :

أجر شفتى من عـــذاب الظما	أمـــا اذن الله أن ترحمــــــا
أتمعن فى الهـــجر حتى ترانا	بكينا دمـــــا واحترقنا فمـــا

ولكنه أبدا لا يبحث فى حقيقة روحه الا عن السمو والطهر :

يالمنفيين ضـــــلا فى الوعور	دميا بالشوك فيها والصخور
كلما تقسو الليـــــالى عرفا	روعة الآلام فى المنفى الطهور
طردا من ذلك الحـلم الكبير	للحظوظ السود والليل الضرير
يقبسان النور من روحيهما	كلما قد ضنت الدنيا بنور

وناحية أخرى يجب ألا نغفلها فى شعر ناجى ، وهى قدرته العجيبة على انطاق كل شىء حتى لتحس أن الدنيا كلها تنطق بلسانه ، وهو فى قصيدة « الخريف » ينطق الصمت نفسه :

رفرف الصـمت ولكن أقبلت	من أقاصى السهل أصداء بعيدة
تتهـــادى فى عبـــاب ساحر	مرسل للشـــط أمواجا مديدة
كـــــم نداء خافت مبتعـــــد	تشتهى اذن الهوى أن تستعيده
عاد منســـابا الى أعماقهـــا	هامســـا فيها بأصداء جديدة

***

رفرف الصمت ولكن ها هنـــا	كل ما فيــك من الحسن يغنى

آه كـــم من وتر نـــام على صـــدر عود نوم عاف مطمئن
وبه شـــتى لحون من أسى وحـــنين وأنين وتمـــن
رقد العاصـــف فيه وانطوت مهجة العود على صـــمت مرن

ولعلها المرة الأولى فى شعرنا العربى الحديث التى يحدثنا فيها الشاعر عن هواجس الصمت وعن الصمت المرن ، وهذه الظاهرة نفسها نلحظها فى قصيدة « أصوات الوحدة » :

يا وحدتى جئت كى أنسى وهـــا أنذا
ما زلت أســـمع أصداء وأصـــواتا
مهما تصـــاممت عنها فهى هـــاتفة
يا أيها الهـــارب المســكين هيهاتا
جرت على الأمـــانى من مجاهلهـــا
وجمـــعت فكرا قـــد كن أشـــتاتا
ما أسخف الوحـــدة الكبرى وأضيعها
اذا الهـــواتف قـد ارجعـن ما فاتا
بعثن ما كان مطـــويا بمـــرقده
ولم يزلن الى أن هـــب ما مـــاتا
تلفت القلب مطعـونا بوحـــدته
وأين وحـــدته ؟ باتت كمـــا باتا
حتى اذا لم يجـــد ريا ولا شـــبعا
أفضى الى الأمل المعطوب فاقتـــاتا

وتقودنا هذه الناحية فى شعر ناجى الى ناحية أخرى هى شعر التأملات عنده ، ففى قصيدة « الحياة » يقول :

جلست يوما حين حل المســـاء وقد مضى يومـــى بلا مؤنس
أريح أقداما وهت من عنـــاء وأرقب العـــالم من مجلسى

***

أرقبـــه يا كد هذا الرقيب فى طيب الكـــون وفى باطله
وما يبـــالى ذا الخضم العجيب بنـــاظر يرقب فى ســـاحله

***

ســيان ما أجهل أو أعـــلم من غامض الليل ولغز النهـــار
ســـيستمر المسرح الأعظـــم رواية طالت وأين الســـتار

***

عييت بالدنيـــا وأسرارها وما احتيالى فى صموت الرمال
أنشـــد فى رائع أنوارهـــا رشدا فما أغنم الا الضـــلال

***

أغمضت عينى دونهـــا خائفا ... مبتغيا لى رجمة فى الظـــلام
فصـــاح بى صائحها هـــاتفا ... كانمـــا يوقظنى من منـــام

***

أنت امرؤ ترزح تحت الضـــنى ... لم يبق منك الدهر الا عنـــاد
وكل ما تلمحــــــه من ســـنا ... يهزأ بالجذوة خلف الرمـــاد

***

يا رب غفرانك انا صـــــغار ... ندب فى الارض دبيب الغرور
نسحب فى الدنيا ذيول الصغار ... والشيب تأديب لنـــا والقبور

***

فهو يتأمل فى الكون العجيب الذى يحيط به ، ويقوده التأمل الى الحيرة والشـــك ولكنه يعود بسرعة ليعلن ندمه ويطلب من الله المغفرة ، وليعلن عن ضعف الانسان وغروره عندما يحاول أن يفلسف الكون وهو ذرة ضئيلة فيه .

ويحاول ناجى أن يفلسف مر الزمن رابطا بين مأســـاة قلبه وبين الأيام التى تمر عليه ، فيقول فى قصيدة الخريف :

يا ليالى العمر ما سر الليـــالى ... البطيئـــات المملات الطوال
مسرعات مبطئـــات وبهـــا ... خفة الموت وأثقـــال الجمـــال
كاسفات البـــال عرجاء المنى ... عاثرات الحظ شوهاء الظـلال
عجبـــا للعمر يمضى مسرعـا ... للمنايا بسلحفاة المـــلال

وكثيرا ما يتحول تأمله الى تشاؤم ثم الى صرخة مدوية :

يا أيهـــا الليـــل جئت أبكى ... وجئت أســــلو وجئت أنسى
طـــال عذابى وطـــال شكى ... ومـــــات قلبى ومـــا تأسى

ثم غالبـــا ما ينتهى كل ذلك بالتسليم بمشيئة الله ، فمن قصيدة « ليالى الأرق » يقول ناجى :

والأم تدفعنـــا الحوادث فى عبـــاب يلتطم
دفعت بمركبنا المقادير الخفية والنســـم
خرجت وما تدرى الغداة بأى صخر ترتطم
بدأت على ريح الرضـــا والله يدرى المختتم

وحتى الحب فانه غالبـــا ما يفلسفه فيربط تجربته الخاصة بفلسفة الحب منذ كان فى الارض حب ، اسمعه يقول من قصيدة « دين الاحباء » :

هى قصة الدنيا وكم من آدم ... منا له دمع على حواء
كل به قيس اذا جن الدجى ... نزع الاباء وباح بالبرحاء
كل له ليلى ومن لم يلقها ... فحياته عبث ومحض هباء
ويرى الآمانى فى سعير غرامها ... ويرى السعادة فى أتم شقاء
والكون فى احسانها والعمر ... عند حنانها والخلد يوم لقاء

وكذلك يبدو حزنه الذى غالبا ما ينتهى بالتسليم بالقضاء والقدر فى خطابه هذا الى حبيبته :

يا حبيبى كل شىء بقضاء ... ما بأيدينا خلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا ... ذات يوم بعد ما عز اللقاء
فاذا أنكر خل خله ... وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل الى غايته ... لاتقل شئنا وقل لى الحظ شاء

ويمضى الشاعر فى تأمله فى أرجاء الكون ، فيقف على شاطىء البحر الذى كان كثيرا ما يأنس اليه فى رحلاته الى الاسكندرية يشاكيه ويتأمل أمواجه العالية الزبد يستوحيها سر الكون وصروف القدر ويبثها شجنه ولوعته وأساه ، يقول :

قلت للبحر اذ وقفت مساء ... كم أطلت الوقوف والاصغاء
وجعلت النسيم زادا لروحى ... وشربت الظلال والأضواء
وكأن الألوان مختلفات ... جعلت منك روضة غناء
مر بى عطرها فاسكر نفسى ... وسرى فى جوانحى كيف شاء
وكأنى أرى بعين خيالى ... ساحر المقلتين يغضى حياء
وكأن الوجود لم يحو الا ... حسنه والطبيعة الحسناء
نشوة لم تطل ، صحا القلب منها ... مثلما كان أو أشد عناء
انما يفهم الشبيه شبيها ... أيها البحر نحن لسنا سواء
أنت عات ونحن حرب الليالى ... مزقتنا وصيرتنا هباء
أنت باق ونحن كالزبد الذا ... هب يعلو حينا ويمضى جفاء
وعجيب اليك يممت وجهى ... اذ مللت الحياة والأحياء
أبتغى عندك التأسى وما تم ... لك ردا وما تجيب نداء
كل يوم تساؤل ليت شعرى ... من ينبى فيحسن الانباء
ما تقول الأمواج ما آلم الشمس ... فراحت حزينة صفراء
تركتنا وخلفت ليل شك ... أبدى والظلمة الخرساء
وكأن القضاء يسخر منى ... حين أبكى وما عرفت البكاء
ويح دمعى وويح ذلة نفسى ... لم تدع لى احداثه كبرياء

فهنا يخاطب الشاعر البحر كانه صديق يفتح له قلبه ، وهو ينتهز

الفرصة ليشكو له ما يحسه من ملل وحزن يملأ نفسه بالضباب ، ومن خلال القصيدة نشعر بوجدان الشاعر المفعم أسى وانطوائية وخاصة عندما يقارن بين البحر وبين البشر الفانين الذين ينكبهم القدر بأرزائه ..

ومن خلال كل هذه التأملات التى عرضناها والتى ينتهى فيها ناجى غالبا الى التسليم نستطيع أن نتبين أنه كان يتمتع بعمق الفكرة فى غير ما حاجة الى الالتجاء الى الفلسفة المحضة ثم هو يصوغ أفكاره العميقة فى أسلوبه الحار المتدفق • وقد أوضحنا أن ناجى لم يكن همه الا أن يعبر عن مشاعر وجدانه الفياضة وبالفعل فقد بلغ ناجى الذروة فى التعبير عن ظمأ الروح واللهفة الخالدة الى الحب وعاش طوال حياته روحا ظامئا لهيفا يبحث عن العواطف ويعبر عن أشواقه المتدفقة .

ومن القصائد الوجدانية التى بلغ فيها ناجى حد الروعة ، والتى عبر فيها عن عاطفته وألمه وضياعه واستسلامه لاستبداد المحب والمقادير خير تعبيرتلك القصيدة التى يقول فيها :

أنا وحدى فى البيد حيران هائم
فمتى تذكر القفار الغمائم
رحمة يا سماء ان فمى جف
وحلقى عن الموارد صائم
أيها الطاعم الكرى ملء جفنيك
وجفنى من الكرى غير طاعم
ابكنى واستبد بى واقض ما شا
ء لك الحسن واظلم وخاصم
غير هذا النوى فان لياليه
ظلال من المنايا حوائم
بالذى صنت عهده لم أخنه
ومتى خانت الأكف المعاصم
والذى حكمه كأقدار عينيـ
ـك فما منهما ولا منه عاصم
أى صوت من الغيوب ينادينى
فاطوى له الدنى والمعالم
قدر مشعل على شفة تدعو
فاخطو على اللظى غير نادم

استسلام للقدر وللحبيب ، ولكننا لا نفاجأ بهذا الاستسلام لأنه من شاعر وهب نفسه للتعبد فى هيكل الحب فما يستطيع ـ وان حاول أحيانا ـ أن يقول لحبيبه لا ... !

ولنعش معه هذه المحاولة للتمرد التى ذكرها فى « الاطلال » :

اعطنى حـــريتى أطلق يدى ... اننى أعطيت ما استبقيت شى
آه من قيدك أدمى معصـمى ... لم أبقيـــه ؟ وما أبقى على
ما احتفاظى بعهود لم تصنهـا ... والام الاسر والدنيـا لـدى
ها أنا جفت دموعى فاعف عنها ... انهـــا قبلك لم تبـذل لحى

ولكنها محاولة للتمرد ، مجرد محاولة لانه دائما يعــود الى حبيبه تقوده اللهفة ويقوده الظمأ والحنين .

وقد استعرضنا فيما سبق نماذج من شعر ناجى الوجدانى محاولين أن نربط هذه النماذج بشخصية ناجى وصفاته الانسانية من ناحيـــة وبطبيعة عصره من ناحية أخرى ، فجيل ناجى من الشعراء الذين حطم واقع الحياة المرير أمانيهم وأثقل كواهلهم ولفح بضرامه نفوسهم المرهفة الرقيقة فانطووا جميعا فى عزلة يبكون أحلامهم الضائعة ويهرعون الى الطبيعة - أمهم الحنون - يغسلون فى رحابها أوضار نفوسهم ويلوذون بأحضانهـا لتقيهم هجير الحياة وراحوا يتفلسفون ويتأملون ، تراهم أحيانا متصرفين وأحيانا شاكين متمردين يتساءلون ما الوجود وما العدم ولماذا جئنا وأين المفر ؟ ولم تأتهم هذه النزعات الذاتية الانطوائية من طبيعــــة عصرهم وحدها ، وانما أتتهم أيضا والى حد ما من واقع التيـــارات الأدبية التى سبقتهم ، فقد سبقتهم جماعة الديوان والمهجر بتحرير الشعر العربى من أغراضه التقليدية البالية وتحطيم الأصنام الأدبية وفتح آفاق جديدة أمام الشاعر العربى ليتزود بالثقافات الاجنبية ، وسبقهم الشاعر المجدد الكبير خليل مطران الذى وان لم يشاركهم فى الثقافة الانجليزية الغالبة عليهم الا أنه قد أثر فيهم بروحه الوادعة الرضية وبرقة حاشيته وبتبنيه لهم ، وكذلك اتتهم من المناهل الاجنبية التى نهلوا منها وخاصة المذاهب الادبية الحديثة كالرومانسية والرمزية ، وقد ظل ناجى يرى فى الحب ملجأه ويرى فى الحبيب أمله البعيد القريب ، وها هو ذا يهتف مغنيا فرحته بامتداد يد الحبيب نحوه :

ويد تمتـــد نحـوى كيـــد ... من خلال الموج مدت لغـــريق
آه يا قبـــلة أقدامـــى اذا ... شكت الاقدام أشواك الطريق
وبريقـــا يظمأ الســـارى له ... أين من عينى ذيـــاك البريق

وهذه تجربة أخرى يقودنا الشاعر اليها ،
انها تجربة « رجوع الغريب » ولندعه يبثنا هذه القصيدة :

عادت لطائرها الذى غناهـــا ... وشدا فهاج حنينها وشـــجاها
أى الحظوظ أعادهــا لو فيهـا ... ونجى وجدتها وألف صـــباها
مشبوبة التحنان تكتم نارهـــا ... عبثا وتأبى أن يبين لظاهـــا

يا ألفي المعبود سرك ذائع
نار الحنين دفينها أفشاها

ماذا لقينا من لقاء خاطف
وعشية كالبرق حان ضحاها

يا ويح هاتيك الثواني لم تقف
حتى نسيغ هناءة ذقناها

حتى يمتع باليقين مكذب
عينيه في رؤيا يضل سناها

تمضي لها الابصار مشعلة الهوى
وتحول عنها ماتطيق لقاها

لم ترو منك نواظري وخواطري
ورجعت أزكى مهجة وشفاها

مد الخريف على الرياض رواقه
ومضى الربيع الطلق ما يغشاها

ما بالرياض ؟ كآبة في أرضها
وسحابة تغشى أديم سماها

جمدت حمائم ايكها وأنا الذي
شاكيتها فاغرورقت عيناها

والقصيدة عبارة عن حلم لم يتحقق، وهكذا صور لنا أمانيه في قصة خاطفة سريعة حتى يصل الى النهاية ، فيبثنا شكايته وحزنه على الحلم الذي لم يتحقق ، وحتى الرياض فانها تبدو كئيبة والحمائم رقت لشكواه فاغرورقت عيناها بالدموع رثاء لحاله ..

وظل ناجي حتى آخر أيام حياته شاعر الوجدان الذاتي الذي يعيش لينقل تجاربه مع الحب بصدق وأصالة مغلفين بروح العصر من تشاؤم وتمرد وشكوى وأنين ، وحتى النهاية كان حبه الأول الكبير هو الذي يلهمه الشعر ولم ينس ذلك الحب حتى وهو يودع الحياة فعندما اشتد عليه المرض لم يذكر الا حبيبته الأولى ، التي شقي بحبها العمر كله وتغنى بجمالها العمر كله أيضا ، فطلب اليها أن تمنحه بضع لحظات قبل أن يغادر هذا العالم .

داو ناري والتياعي وتمهل في وداعي
يا حبيب العمر هب لي بضع لحظات سراع
قف تأمل مغرب العمر واخفاق الشعاع
وابك جبار الليالي هده طول الصراع
وا ضياع الحزن والدمع على العمر المضاع
وهتاف القلب بالشكوى على غير انتفاع
ما يهم الناس من نجم على وشك الزماع
غاب من بعد طلوع وخبا بعد التماع
طال بي سهدي واعيائي وقد حان اضطجاعي
وأذا الراحة حانت بعد لأي ونزاع
فصدور الغيد سيان وأنياب السباع
آه لو تقضي الليالي لشتيت باجتماع
كم تمنيت وكم من أمل مر الخداع
وقفة أقرأ فيها لك أشعار الوداع
ساعة أغفر فيها لك أجيال امتناع

يا مناجاتى وسرى وخيالى وابتداعى
ومتاعا لعيونى وشميمى وسماعى
تبعث السلوى وتنسى الموت مهتوك القناع
دمعة الحزن التى تسكبها فوق ذراعى

فهو يتمنى دمعة حزن تسكبها حبيبته على ذراعه ساعة موته فينسى حتى الموت المتربص به ، وفى المعنى نفسه يقول من قصيدته « رواية » مع بعض التأمل فى العمر والحياة :

نزل الستار ففيم ننتظر	خلت الحياة واقفر العمر
لم يبق الا مقفر تعس	تعوى الذئاب به وتأتمر
هو مسرح وانفض ملعبه	لم يبق لا عين ولا أثر
ورواية رويت وموجزها	صحب مضوا وأحبة هجروا
عبروا بها صورا فمذ عبروا	ضحك الزمان وقهقه القدر

وهكذا ظل ناجى حتى النهاية متشبثا بحبه الأول والأخير حتى وان قال الشعر فى حبيبات أخريات التقى بهن بعد أن لمعت شاعريته ، فما كانت تجاربه تلك فى الحب الا صدى لتجربة صباه وما كان شعره الا فى تلك الحبيبة الأولى وان اختلفت وتعددت أسماء الحبيبات اللاتى نظم فيهن بعد ذلك .

ولعنا اذا ركزنا اهتمامنا على هذا الحب الأول فى حياة ناجى واثره فى شعره لا نكون قد أغفلنا شيئا كثيرا مع ذلك

وفى كل قصيدة سطرها ناجى فى دواوينه « وراء الغمام » و « ليالى القاهرة » و « الطائر الجريح » ثم « ديوان ناجى » فى كل قصيدة فى تلك الدواوين نلمس دائما حب ناجى الكبير ، ونلمس كذلك روح عصره التى تميل الى التعبير عن التجارب الذاتية فى اطار من الشكوى والتبرم واليأس والأنين .

الفصل السادس
ناجى والشعر المترجم

التقى ناجى بالثقافة الغربية منذ صباه الباكر ، فقد عرفنا انه صحا ذات ليلة على صوت ابيه وهو يقص على والدته قصة اوليفر تويست لتشارلز ديكنز ، وقص علينا ناجى كيف أثرت هذه القصة الانسانية فى وجدانه الصغير وكيف أخذته الشفقة على الطفل الصغير المشرد حتى انه أخذ يستعيد تفاصيل قصته كلما خلا الى نفسه ، وكذلك عرفنا أن أباه أراد أن يهديه شيئا بمناسبة حصوله على الشهادة الابتدائية واختار شاعرنا أن يهديه والده كتابا وبالفعل اهداه والده قصة دافيد كوبرفيلد لتشارلز ديكنز أيضا ، وكأن الأقدار شاءت أن يتلقى ناجى بذور ثقافته على يد هذا الكاتب الانسان ليكون هو الآخر مثالا الشاعر الانسان .

وبوسعنا لو تتبعنا المقالات التى كتبها ناجى بنفسه أن نعرف مدى ألمامه المبكر باللغات الاجنبية ، فنعرف أنه وهو فى المرحلة الثانوية احب فتاة تهوى قصة « التلميذ » للكاتب الفرنسى « بول بورجيه » ويحار صاحبنا فى طريقة التودد اليها ، وهو لا يتعلم اللغة الفرنسية فى القسم العلمى بالمدرسة ، وأخيرا يقرر أن يتعلم الفرنسية ليقرأ قصة التلميذ مع فتاته وقد كان ، وبدأ ناجى يلتقى مع الثقافة الفرنسية منذ ذلك الحين ، وقصة أخرى يذكرها ناجى ومنهما نتبين مدى اتقانه للغة الانجليزية وهو ما زال صبيا ، فقد تقدم لامتحان البكالوريا وكان المتحن انجليزيا وعند ما سأله المتحن عما يحفظه من الأدب الانجليزى اجاب : هملت ، وطلب منه المتحن أن يلقى جزءا منها فما كان من صاحبنا الا أن وقف على قدميه ليسمعه هملت ، بل ليمثلها له ونسى المتحن نفسه وظل التلميذ يمثل حتى مرت ساعة كاملة أفاق المتحن لنفسه بعدها فنظر فى ساعته ثم قال لصاحبنا أ « هل جئت تمتحن البكالوريا ؟ اذهب بارك الله فيك » .

وعند ما كبر شاعرنا واستوت شاعريته بدأ يوجه اطلاعه الى آثار

الشعراء الرومانسيين والرمزيين الذين استهووه بتعبيرهم عن وجدانهم وعن ميلهم الى الحزن والشكوى والتبرم والأنين وكأنما التقوا معه فى استعداد فطرى لديه بحكم نشأته وظروفه وبحكم العصر الذى عاشه ، ونحن نعرف كذلك أن ناجى ترجم كثيرا من الشعر الغربى الذى يتفق ونزعاته وميوله والذى يرى فيه ناجى مثلا يمكن أن يحتـــذى لاثراء الشعر العربى وتوســـيع آفاقه ، فهو قد ترجم ديوان « أزهار الشر » لبودلير ، وكذلك ترجم أغانى شكسبير بل انه يقول عن أغانى شكسبير « مرت الايام وتقدمت بى السن واعتـــرتنى أمراض وازمات وأخذت أتداوى بقراءة أغانى شـــكسبير وهذه الأغانى لا يعـــرفها الا القليلون لصعوبتها وعمقها ، وكانت تسليتى أن أقرأ وأن أترجم ولم أكد أفرغ منها حتى برئت من مرضى جسما ونفسا ، وعدت الى شبابى ولا زلت محتفظا به وبأغانى صديقى شكسبير » .

وكذلك ترجم قصـــائد لشيلى وهينى والفـــريد دى موســـيه ولامارتين ..

وسنحاول هنا أن نعرض نماذج من الشعر الذى ترجمه ناجى الذى كان يحافظ على روح الشاعر المترجم عنه وكان ينقل القصـــيدة مضفيا عليها من روحه الشاعرة مايســـاعده على ابراز ما يهدف اليـــه الشاعر الاجنبى من معان وخيالات ، ويهمنا قبل أن نعرض هذه النماذج أن نقف وقفة قصيرة عند ترجمة الشعر من لغة الى لغـــة ، فالترجمة هى نقلة بالقصيدة من جو مترع بالمعنى الملحن المنغم الى جو آخر لايلعب فيه سوى معنى القصيدة المجرد الساكن ، وتتبدى الصعوبة فى الترجمة حين تكون معانى القصيدة رمزية بعيدة الدلالة ، تقبل تفسيرات عديدة مختلفة بل ومتناقضة ، ومن هنا تكون مهارة المترجم وقدرته على تفهم روح الشاعر هى ما يمكن أن يعتمد عليه فى هذه المهمة اعتمادا تاما . .

ويمكننا أن نتبين ذلك من الترجمة النثـــرية الرائعة التى كتبها ناجى لقصيدة « الى الريح الغربية » للشاعر شيللى ، ومن هذه الترجمة نشعر أن ناجى عاش القصيدة بقلبه وروحه حتى استطاع أن ينقلها الينا فى لغة عربية شفافة معبرة :

« يا أيتها الريح الغربية المجنونة ، يا نفس الخريف ، أنت يا من تساق الأوراق الميتة أمام كيـــانها الخفى كأرواح تهرب من ساحر يطاردها ، صفراء وسوداء شاحبة ومحمرة ملتهبة ، شبه جموع روعت بوباء ، أنت يا من تدفعين البذور المجنحة الى قبورها القاتمة البـــاردة فلا تزال دفينة فيهـــا حتى تجىء اختك غادة الربيع فتنفخ فى نفيرها فتطير الاكمام الجميلة أسرابا أسرابا تفتدى فى الهواء وتملأ الســـهول والتلال ألوانا وعبقا .

وهكذا تستمر القصيدة وتستمر معها ترجمة ناجى العذبة حتى يهيب شيللى بالريح أن تستمع اليه قائلا :

« لو انى كنت ورقة تحملينها أو سحابة مسرعة تطير معك ، لو كنت موجة ألهث تحت ظلال قوتك وأقاسمك جبروتك .. وأنا دونك حرية .. انت يا من لا سلطان لشىء عليها ، أو لو عدت صبيا أصحبك فى طوافك خلال السماء .. اذن كنت لا أدخر حلمـا حتى أجاريك فى سرعتك العلوية .. ما جهدت كما أصنع الآن وصليت أدعوك فى محنتى، ارفعينى كموجة أو كورقة أو كسحابة ، انى أقع على أشواك الحياة ، انى أدمى ، ان ثقلا من الساعات كبلنى وقوسنى أنا الشـبيه بك فى جنونى وخفتى وكبريائى ، اتخذينى قيثارتك كما تصنع الغابة ، وان تجدى أوراقى تتساقط كما تتساقط أوراقها فان ضجيج الحـانك القوية سيأخذ من كلينا لحنا خريفيا عميقا عذبا وان يكن حزينا .

« يا أيتهـا الروح العنيفة كونى روحى ، كونى انت أنا وادفعى أفكارى الميتة أمامك حول الكون كالأرواح الذابلة لعلها تستعيد حيـاة جديدة ، وبتكرار هذا القصيد انثرى لهبا ورمادا من موقد مضطرم ، انشرى كلماتى بين الناس ، وكونى على شـفتى الدنيا الغافلة نفير نبوة .

« أيتها الريح اذا كان الشتاء مقبلا ، فهل الربيع بعيد ؟ »

واذا كان ناجى قد ترجم قصيدة « الى الريح الغربية » لشيللى عن الانجليزية نثرا رائعا ، فقد ترجم عن الفرنسية قصيدة « التذكار » لالفريد دى موسيه شعرا لا يقل روعة :

بى نزوع الى الدموع الهوامى	غـير أنى أخاف من آلامى
أيهـذا المكان يا غالى التر	ب ومثوى عبادتى واحترامى
أنت مثوى الذكرى ومدفنها الغا	لى القصى المجهول فى الايام

ويمضى ناجى فى ترجمة القصـيدة الى أن يقول من القصـيدة نفسها :

ان تروا ادمعى فلا تزجروها	ودعونى انى أحب الدموعا
لا تجفف ايديـكم أدمعا تنفع	قلبـا لمـا يزل موجوعا

وكذلك عرب ناجى عن الفرنسية قصيدة « البحيرة » للامارتين .. يقول فيها :

من شاطىء لشـواطىء جدد	يرمى بنـا ليـل من الابد
ما فر منه مضى فلم يعـد	هيهـات مرسى يومه لغد

وعن الالمانية ترجم ناجى قصيدة رمزية بعنوان « دعاء الراعى » لهينى :

يا أيهـــا الليل الوديع أنا الذى	يحنو عليك . أنا الحبيب الراعى
كم ليلة والرعب يمشى فى الدجى	والهول منتشر على الأصـــقاع
أغفيت فى كنفى وفى ظل الكرى	كالطفل فى أمن من الأوجاع
يارب قد وهت العصا واستأثرت	عبر الليـــالى بالقوى البـــاع
يارب ان تك قد حكمت بفرقة	واذنت للراعى بوشـــك زماع
فانظر الى الحمـل الوديع ووقه	شر النفوس وفتنة الأطماع

تلك نماذج من ترجمـــات ناجى لروائع الشـــعر الغربى ، وهى ترجمات دقيقة ـ سواء كانت شعرا أو نثرا ـ حافظ فيها الشـــاعر المترجم على روح شاعرها الأصلى بل ومنحها من روحه وفنه ما جعلها تنبض بالحيـــاة فى اللغة التى انتقلت اليها كما كانت تنبض فى لغتها الأصلية .

الفصل السابع
شعر المناسبات عند ناجي

لم يكن ناجى شاعر مناسبات ، بل انه لم يكن فى يوم من الايام سوى شاعر الوجدان المتلهف والعاطفة العميقة ، ولم يكن جيل ناجى كله جيل مناسبات بل ان شعر المناسبات كان قد لاقى هجوما أدماه منذ أوائل القرن على أيدى العقاد وشكرى والمازنى باعتباره شعرا متكلفا لا يعبر عن روح الشاعر ولا عن روح عصره وأمته ، ومنذ أن قال شكرى أن الشعر هو ماأشعرك • ومنذ أن جهر العقاد بأن الشعر القومى ليس هو الشعر الذى تذكر فيه الأحداث والأسماء والتواريخ بل هو الذى يعبر عن انفعال الشاعر بهذه الاحداث . منذ ذلك الحين والشعراء المحدثون لا يميلون الى شعر المناسبات ولكنهم مع ذلك كانوا يقولون ذلك النوع من الشعر أحيانا ، وحتى ناجى شاعر التجربة الذاتية والوجدان المتلهف قال شعرا فى المناسبات ، وقد يفاجئنا ذلك لأننا لا نتوقعه من ناجى وهو القائل :

اكتب لوجه الفن لا تعدل به	عرض الحياة ولا الحطام الفانى
واستلهم الأم الطبيعة وحدها	كم فى الطبيعة من سرى معانى
الشعر مملكة وأنت أميرها	ما حاجة الشعراء للتيجان
هومير أمره الزمان بنفسه	وقضت له الاجيال بالسلطان
اهبط على الازهار وامسح جفنها	واسكب نداك لظامىء صديان

ولكنه رغم ذلك المفهوم المحدد للفن فى رأيه قال شعرا فى المناسبات فمدح وهنأ ورثى وهجا وقال فى الشعر القومى ، وأغلب الظن أنه بالنسبة للمديح بالذات كانت ظروف وظيفته تضطره اليه ، فمنذ نقل الى وزارة الأوقاف هيأ الله له ثلاثة من الوزراء المحبين للأدب وهم عبد الهادى الجندى وابراهيم الدسوقى أباظة وعبد الحميد عبد الحق ، وكانوا يتولون الشاعر برعايتهم فكان لزاما عليه ان يجاملهم

بالمديح ، اسمعه يمدح عبد الحميد عبد الحق ويضطر الى المبالغة والهبوط بمستواه الفنى الى درجة لا نتصورها :

انت فوق التكريم فوق الثناء	جل ما قد أسديت عن اطراء
ياعظيم الشئون جلت شئون	انت منها فى ذروة شماء
ياعظيم الأوقاف جلت أمور	عرفتنا مواقف العظماء

وفى هذه الأبيات نتذكر صورة الشاعر المتزلف الى ذوى السلطان ولكن مدح ناجى لم يكن كله بهذه الصورة ، فعند ما يمدح استاذه الدكتور على ابراهيم نقدر فيه عاطفة ولاء التلميذ لاستاذه وان مال الى المبالغة :

ولو أن الانى أنقذت جاءوا	يؤدون القديم من الجميل
ولو ان الالى علمت جاءوا	يؤدون القليل من القليل
ولو منحوك عمرهم جميعا	وما هو بالكثير ولا الجزيل
اذن لرأيت عمرك عمر نجم	له فى اللانهاية الف جيل

وعندما يمدح ناجى أحد أصدقائه نحس ان المديح تحول الى شىء من المداعبة التى تكون بين الأصدقاء أو الى شىء من الاخوانيات ، ولنسمعه وهو يمتدح الدكتور زكى مبارك :

فرح الاهل بالفلام الذى صا	ر حديثا فى ندوة السمار
عمموه وقفطنوه فأمسى	امل القوم فارس المضمار
ثم أمسى مطربشا واكتسى البذلة	ما بين ليلة ونهار
ثم أمسى مبرنطا يقصد السـ	ين ويغزو مدينة الانوار

وبصفة عامة وعلى الرغم من وجود شعر المديح لدى ناجى الا انه مقتصد فى مدحه ، ولا يستغرق هذا الضرب من الشعر كثيرا فى ديوانه.

واذا انتقلنا الى غرض آخر من اغراض الشعر التقليدية وهو الرثاء لتوقعنا أن يبدع فيه ناجى لما لمسناه فيه من حساسية بالغة وعاطفة عميقة ، ولنقرأ مثلا مرثيته لأحمد شوقى :

قل للذين بكوا على شوقى	النادبين مصارع الشهب
والهفتاه لمصر والشرق	ولدولة الأشعار والأدب
دنيا تقر اليوم فى لحد	وصحيفة طويت من المجد
ومسافر ماض الى الخلد	سبقته آلاء بلا عدد

وهو شعر بلا عاطفة ولا عمق ، وبرغم أن شوقى كان أول رئيس لجماعة أبولو وان الجماعة خصصت عددا بأكمله من مجلتها لمناسبة وفاته فاننا لا نحس فى رثاء ناجى لشوقى بلوعة ولا حرقة .

أما بالنسبة للهجاء فلم يكن لناجى فيه باع طويل ، فالرجل كريم الخلق الى درجة مفرطة يتمتع بحساسية بالغة حتى لا نتصور أن يؤذى انسانا بفعل أو قول ، ولو بحثنا فى ديوانه ما وجدنا هناك غير قطعتين صغيرتين من الشعر ، لعله قالهما مضطرا أو تحت ظرف نفسى معين ، واذا دلتنا هاتان القطعتان على شىء فانما تدلاننا على أن « ناجى » كان يمكنه أن يهجو وأن يكون لاذعا فى هجائه ، قال ناجى :

أيها الحى ، وما ضر الورى لو كنت متـــا ؟
أو شـــعر ذاك ؟ لا بل حجر ينحت نحتا
تلقم النـــاس وترميهم به فوقا وتحتـــا
صحت من يأسى لمـــا بركيك الشعر صحتا
آه يا قاتل .. يا سفاح .. حتى أنت .. حتى ؟

وقال أيضا فى هجاء صديق له اسمه عبد الحميد :

رجـــلا أرى بالله أم حشرة ... ســبحان من بعبيده حشره
يا فخر « داروين » ومذهبه ... وخلاصة النظرية القـذرة
ارأيت قردا فى الحـديقة قد ... فاته انشـاه على شجرة ؟
عبد الحميـــد أعلم فانت كذا ... ما قال داروين وما ذكره
يا عبقريا فى شـــناعته ... ولدتك أمك وهى معتــذرة

لاذع ، لاذع هذا الهجاء ، حتى أننا لا نتوقعه من نفس سمحة كنفس ناجى وربما كان هذا الهجاء قد جرى على لسانه فى الفترة التى هجر فيها الشعر وأساء الظن بكل شىء حتى بالاصدقاء بعد صـدور ديوانه الأول ، على أن هذا الشعر على ما فيه من قســوة يمكن ادخاله تحت باب السخرية والتفكه .

أما عن الشعر الوطنى فلم يضرب فيه ناجى بســهم وافر على الرغم من وطنيته المشهود بهـا من أصدقائه ومريديه ، لأن الشاعر كان منصرفا بكليته الى تجاربه الذاتية وعواطفه التى صاغها لنا شعـرا وجدانيا رائعا ، وفى احدى قصائده الحماسـية بعنوان : « نداء الشباب » نجده يقول :

وطن دعا وفتى أجاب ... بوركت يا عـزم الشباب
يا فتية النيل المســا ... لم والكريم بلا حســاب
جنـــاته مرآتـكم ... ولكم خلائقها العــذاب
ولـــكم جمـال الزهـ ... ر رف على الأماليد الرطاب

وقال كذلك :

قل للذى يبغى الصلاح لقومه ... بنبيل صنع أو شريف جهاد

بالطب أو بالشعر أو بكليهما كل الجهود فداء هذا الوادى
يا أيها الوطن الجريح وجرحه بصميم كل حشاشة وفؤاد
قل للبناة المصلحين الا اخلقوا شم الذرا ورواسـخ الأطواد

وقال فى النسور المصرية في قصيدة « الأجنحة المحترقة » :

وهلل السين اذ هلت طلائعنا طلائع المجـد من أبناء وادينا
يا أمتى كم دموع فى مآقينـا نبكى شهيديك،أم نبكى أمانينا
يا أمتى ان بكينا اليوم معذرة فى الضعف بعض المآسى فوق أيدينا

وهذه القصائد وان دلت على شعور قومى فيـاض وتجاوب مع الأحداث وخاصة القصيدة الاخيرة ، الا انهـا لا تدل على ان الشـاعر متجاوب تماما مع وجدان شعبه فالشـاعر منصرف بهمه الاكبر الى ذاته يستبطنها ويصوغ تجاربها ، والواقع ان المفهوم السائد فى ذلك الحين عن الشعر لم يكن ليسمح له بغير ذلك .

أما بقية اغراض الشعر التقليدية فلا نجد لها اثرا كبيرا فى دواوين ناجى ، ففى الفخر يقول مثلا :

أيا مصر ما فيك العشية سامر وما فيك من مصغ لشاعرك الفرد

ولكن شاعرنا مع ذلك كان مثال الشاعر الرقيق المتواضع النفس وهاهوذا يقول للدسوقى أباظة :

دسـوقى اذا قلت فاقبل تحيتى
فما أنا شـاديهم ولا خيرهم أنا
ولـكننى صـوت المحبين كلهم
ومن روضك الغالى وبستانهم جنى

وفى النهاية فاننا نؤكد أن شعر المناسبات كله لا يصح أن يحسب للشاعر ، فهو على قلته فى دواوينه لم يكن فى يوم من الايام ذلك الشعر الذى يقوله الشاعر عن طبيعة وانما هو شعر متكلف اضطر اليه الشاعر اضطرارا فى ظروف مختلفة .

الفصل الثامن

الملامح الفنية فى شعر ناجى

اذا قلنا ان اسلوب الرجل هو الرجل نفسه ، واذا كنا قد حاولنا أن نثبت ذلك فيما مضى فاننا هنا سنستمر فى المحاولة مع محاولة تلمس الملامح الفنية فى هذا الشعر ، فناجى ليس شاعرا عاديا . وانما هو شاعر متميز ، حتى أن بعض الباحثين يذهب الى أنه يحتل بين شعراء ابولو نفس المكانة التى يحتلها العقاد بين جماعة الديوان ونفس المكانة التى يحتلها شوقى بين شعراء البعث .. ولذا فان علينا أن نعرف بماذا يتميز شعر جماعة ابولو ، اذ أن ناجى هو أصدق مثل يمكن أن يتطابق مع الطابع العام لشعراء الجماعة ..

ويمتاز ناجى أول مايمتاز بأنه « شاعر لا يكتب الا مايتحرك له حسه ويفيض به خاطره ، والشعر عنده عاطفة نارية تتشكل فى الاسلوب الذى يلائمها والقالب الذى يتساوى معها (١) » واذا كان الشاعر الحق هو الذى يستطيع أن ينقل قارئه الى جوه الذى يعيشه ، فان ناجى لديه قدرة غريبة على ذلك ، ويعتمد على اقناع القارىء بصدق التجربة ، والاقناع قوة خاصة فى الشعر بحيث يضطرك الشاعر الى متابعته والسير وراء رأيه والايمان به ، ويملك عليك مشاعرك بدون أن يملك أو يشعرك أنه يقودك وانك تتبع ساحرا جبارا لامفر منه (٢) ، وهذاالتعريف للاقناع بالتجربة الذى يقره ناجى هو أكثر مايكون انطباقا على شعر ناجى نفسه ، اما التجربة الشعرية ذاتها فيقول ناجى : « قد يخيل للانسان أن الفن محاكاة للطبيعة وبهذا قال ارسطو ، حقا ان الانسان من بدء حياته وهو يحاكيها لأنه لايرى شيئا دونها ينقل عنه ، ولكن ذلك غير صحيح لان الصحراء الجرداء لامعنى لها بدون أن يخلع عليها السارى خياله وحداءه ... والسبب فى ذلك أن الفنان يخلع على الصورةتجربته

(١) د . نعمات أحمد فؤاد ـ ناجى الشاعر ـ ص ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق ـ ص ٩٠ .

الشعورية الخاصة ويخلع عليها الحماس ويضيف اليهـا اللهب الذى يضيئها ويجلو جلالها » ، وفى النماذج الشعرية التى قدمناها من شعر ناجى مايوضح صدق ذلك الى حد بعيد ، اذ انه يقدم لنا عاطفتهووجدانه فى كل تجربة يصوغها شعرا وتجاربه صادقة لانه عاشها جميعا بعمق ..

ولشعر ناجى ملامحه الخاصة التى يتميز بها فى المضمون والشكل على السواء هذا مع مشاركته انتاج المدرسة الرومانسية السائدة حينئذ فى الطابع العام .

فمن ناحية الموضوع لاحظنا من قبل أنه يدور حول المرأة والعاطفة الملتهبة التى تجذبه اليها فقد عاش ناجى طول حياته للحب راهبا مخلصا فى محرابه ، وقد اعجب ناجى بتعريف تيوفيل جوتييه للحب حتى ليعده أحسن ماقيل على الاطلاق تعريفا للحب اذ يقول : « ان يسلم شخص تماما نفسه لآخر وأن يتنازل له عما يملك ومايعتقد فلا يرى الا بعينه ولايسمع الا باذنه ، أى أن تصير واحدا فى اثنين بحيث لاتعرف هل هو أنت أم أنت الآخر ، فتمتص شعاعا وتنشر شعاعا ، فيصير القمر مرة والشمس أخرى وترى كل الخلق والوجود فى الشخص الآخر فينتقل مركز الحياة عندك الى هناك ، وتكون مستعدا لأكبر التضحيات ، وانكار الذات ومستعدا لان تتألم على الصدر الثانى كأنه صدرك أنت ، والمعجزة أن تتضاعف وأنت تبذل ، هذا هو الحب(١) : وهو لايقف عند الوصف الحسى الا نادرا ، ثم يتجاوزه الى الوصف المعنوى مرارا وابراز مشاعره وأحاسيسه حيال كل تجربة يخوضها ، وقد تكلمنا كثيرا عن قصة الحب الكبير فى حياته وعرضنا من شعره نماذج توضح التجارب المختلفة التى عاشها الشاعر .

ولعل سرعة احساس ناجى وطواعية الوحى الشعرى له هى التى جعلته لايحتاج الى الاعتكاف فى داره والانكباب على مطالعاته والانطلاق فى تأملات فلسفية تجريدية ، وانما كان يكفيه أن يحلم وهو يقظان كى تمر الحياة بأسرها أمامه بكل ماتحمل من فكر وحركة وأمان ومشاعر ..

ولعل أهم مايطالعنا من خلال شعر ناجى هو شعورنا بأن هـذا الفنان يشعر بالحياة شعورا قويا ومن شعوره القوى هذا تتفجر نظراته الفلسفية الموزعة فى شتى قصائده ، ويقول الاستاذ ابراهيم المصرى عن الشاعر انه « لايفكر أولا ثم يحس بل يحس بجميع حواسه وأعصابه ثم يرسم ويحلل ويتغنى ، ومن خلال أغانيه تلمح فكره كعنصر مكمل لعاطفته منطلق من صميم وجدانه » (٢) ويخرج الاستاذ المصرى من ذلك بأن فكر الشاعر ينبع من عاطفته لانه شاعر قبل كل شىء بالعاطفة يعيشومن العاطفة يستلهم ..

---

(١) كيف تفهم الناس ــ د . ابراهيم ناجى ــ ص ١١٨ .

(٢) ابراهيم المصرى ــ صوت الجيل .

وإذا ما أردنا أن نتتبع عاطفة ناجى المتمثلة فى احساساته ، وجدنا أن أقرب الاحساسات اليه بحكم مزاجه هى كل ماكان منها رقيقا تشيع فيه المحبة والعطف والطيبة والحنين والالم الدفين الذى يمزق صدر صاحبه فى بطء وتأمل وصمت ..

وكما أرجع الاستاذ العقاد تلك الرقة العاطفية التى يمتاز بها الشاعر الى ميراث اسرته الفنى والى شخصية والده القوية الحازمة ، فان الاستاذ ابراهيم المصرى يرجعها الى الروح المصرية التى تقترن فيها الرقة بالشكاية ، وقد ضاعف احساس ناجى بالعواطف الرقيقة من شعوره بالالم سواء بالنسبة لآلامه هو أو لآلام الآخرين .

ويميل ناجى كغيره من شعراء عصره الى التشاؤم ، وربما رجع تشاؤمه الى استعداده الشخصى والى الروح العامة التى كانت طابع شعر عصره ، والتشاؤم عند ناجى ليس دليل ضعف بقدر ماهو دليل قوة ، واذا كان ناجى يرى الحياة أحيانا سوداء فلأنه يعرفها حق المعرفة يعرفها لانه عاشها وأحبها ، وعلى الرغم من تشاؤمه الا أنه يحب الحياة ويشعر بما فيها من فتنة وجمال فيقترن لديه التشاؤم بحب الحياة أو قل التشاؤم بالتفاؤل ..

والذى يكسب نظرة ناجى الى الحياة هذا العمق الذى نحسه فى شعره ليس هو فطرته الشاعرة فحسب بل وثقافته أيضا ، وقد عرفنا ثقافته تلك التى نماها بالقراءة والاطلاع سواء فى العلم أو فى الادب ..

والخيال عند ناجى هو : « اطلاق العنان للتصورات العالية بما يعين عليه من الاستعارات والكنايات اذا وافت فى غير تكلف أو استخدمت فى غير اغراق أو شطط » ولعل ناجى يقصد بذلك الاشادة بالمعنى وحرصه عليه خشية أن يضيع فى ثنايا اللفظ أو ينوء بما يحمل من استعارات ويرهق بما يمزج به من كنايات تخرج الشعر كله من فيض احساس الى صناعة أوزان (١) .

ومن شعر ناجى نستطيع أن نميز فيه كفنان غزارة الشعور وصدقه ويتجلى صدق مشاعره فى غنائه الذى لايمل بالعاطفة ، وكان ناجى فنانا يستوحى قلبه ويستلهم صدق عاطفته ويفهم الشعر على انه عاطفة لا أكثر وهو فى انفعالاته صادق يعبر عما يحسه ويصور مايراه ..

ويغلب أن يغلف ناجى عاطفته بضباب الأسى لأنه كان يعبر عما يعتمل فى أعماقه من انفعالات محرقة :

---

(١) د . نعمات أحمد فؤاد ــ ناجى الشاعر ــ .

هات قيثارتي ودعني للخيال	واسقني الوهم وعلل بالمحال
ودع الصدق لمن ينشده	الحجى خصمي فاغمر بالضلال
وخذ الانواء عني ، ربما	أجد الرحمة في جوف الليالي
خلني بالشوق استدني غدا	فغد عندي كآباد طوال

واذا انتقلنا خطوة أخرى في سبيل التعرف على شعر ناجي فسنجد ان أسلوبه ينبع من موضوعه ويتكيف به ويؤديه في طواعية ، وتبدو هذه المواءمة بين الصياغة وموضوع القصيدة كأبرز ما تكون عندما يعرض الشاعر لاحدى تجاربه العاطفية ، وفي أسلوبه الوثاب تبدو نفسية الشاعر القلقة وعواطفه العميقة ، واذا كان الشاعر الانفعالي ينتقي لشعره اسلوبا عصبيا قلقا زائد الحساسية فان ناجي هو خير من يمنحنا هذا الاسلوب:

طالما موهت بالضحك فما	غير التمويه رأيا لك فينا
كلما تنظر في عيني ترى	سري الخافي ومعناي الخفيا
وترى في عمق روحي زهرة	قد سقاها الحزن دمعا أبديا
ويراه الناس طلا وترى	انت دمعا عائما في مقلتيا

وفي هذه القصيدة الى جانب الاسلوب القلق زائد الحساسية يوجد الانفعال الصادق والظلال الموشى بالحزن والدمع والالم .

ولعل أصدق وصف يمكن أن يوصف به شعر ناجي هو « الشعر المهموس » ذلك الشعر الذى ينساب الى النفس في هدوء ورقة في غير ماصخب ولا ضجيج ، فالشاعر لايقف على منصة ليخطب في سامعه خطبة عصماء ولكنه يسر اليه ويشاكيه ويقص عليه ويتسلل الى قلبه رقيقا كالنسيم ، ولايعني ذلك مطلقا أنه شعر لايصلح الا للصالونات كما ذهب الى ذلك أستاذنا الدكتور طه حسين ، أبدا وانما هو شعر عاطفة واحساس تموج فيه الرقة والانفعال في بحر اثيري من الانغام ، فشعر ناجي اذن كثير الهمس كثير التوثب ، يجد فيه قارئه صدى نفسه وروحه لانه يحمل له انفعالا صادقا وتعبيرا عن نفس الشاعر وروحه . . .

وناجي يستخدم الصورة للتعبير عن مشاعره وأفكاره ، فالصورة تمنح الشاعر وسيلة حساسة للتعبير عما يخالجه من مشاعر وأحاسيس بغير ماحاجة الى التقرير الممجوج ، واذا كانت الصورة هى الأداة التى اتخذها الرمزيون للتعبير عن وجداناتهم ، فان ناجي قد اتصل بالرمزيين عن قرب وقرأهم وانفعل بهم وترجم ديوان بودلير « ازهار الشر » ، ولم تكن الرمزية غريبة على مصر والشرق العربي في جيل ناجي بل عرفناها قبل ذلك بنحو جيل ، فشكرى كان من أوائل الشعراء الذين حفل انتاجهم الشعرى بالتعبيرات الرمزية ، كما امتلأت كتابات شاعر المهجر الكبير جبران خليل جبران بالصور الرمزية المشرقة .

وصور ناجى حياة نابضة نامية يحسن غالبا مزج الوانها وتوجيه خطوطها وتركيب عناصرها ، وربما كانت الصورة عنده أهم وأقيم وسائله التعبيرية ، فهو فيها فنان مبتكر أولا ورسام بارع ثانيا وبناء يعرف كيف يركب هذه الصور آخر الامر (١) ، وقد تتفاوت صور ناجى فى الوسامة والوضوح والالوان والمظاهر الا أن صفة واحدة تغلب عليها جميعا وهى انها صور حية نابضة ، أنظر هذا الجزء من قصيدة « أنوار » :

يامن غفت والفجر من دارها — شعشع فى الآفاق أبهى سناه
قد طرق الباب فتى متعب — طال به السير وكلت خطاه
تثقل فى الايام أقدامه — يبغى خيالا ماثلا فى منساه
عندك قد حط رحال المنى — وفى حمى حسنك ألقى عصاه

أنظر الى الصور المتتالية التى تتشابك وتترابط لتعطى فى النهاية صورة كلية معبرة عن وجدان الشاعر ، واذا نظرت الى قصيدة «كالعودة» رأيت الشاعر يقدم لنا فيها صورا شعرية جزئية متتالية ، تأخذ بعضها باطراف بعض حتى يكتمل الشكل النهائى للقصيدة ، فتصبح من أروع ماعرفناه فى شعرنا العربى الحديث . وكثير من صور ناجى مستمد من البيئة الغربية التى عاشها فى ثقافته وقراءاته ثم زارها بعد ذلك فهو عندما يرسم عينى حبيبته يقول :

ياللغديرين فى عينيك اذ لمعا — بالشوق يومض خلف الماء مضطرما
كأننى ناظر بحرا وعاصفة — وزورقا بالغد المجهول مرتطما

هذه صورة مستمدة من الغرب ولاشك ، ومن الصور الرائعة التى قدمها لنا ناجى مصورا انتظاره لمحبوبته :

وحنينى لك يكوى اعظمى — والثوانى جمرات فى دمى
وأنا مرتقب فى موضعى — ارهف السمع لوقع القدم

أو هذه الصورة من « ملحمة السراب » :

مابقائى وأجمل العمر ولى — وانتظارى حتى يحين الشقاء
يطلع الفجر مرهقا شاحب النور — عليه الكلال والاعياء
وبنفسى دب المساء وحل الـ — ـليل من قبل أن يحين المساء

ويميل ناجى الى « التجسيم » فيمنح الاشياء التى ينفعل بها صفات الانسان وسماته بل ومشاعره وانفعالاته .. أسمعه يقول :

ومن الشوق رسول بيننا — ونديم قدم الكأس لنا

---

(١) الدكتور أحمد هيكل ـ مقدمة ديوان ناجى ـ

أو عندما يقول :

ياحبيبى غيمـة فى خاطـــرى	وجفـونى وعلى الافق ســحابة
غفــر الله لهـــا مـا صنعت	كلما شـــاكيتها تنـدى كآبة
صرخ القفـر لهـا منتحبـــا	وبكى مسـتعطفا مما أصـــابه
فأصـم الفيث عنـــه اذنـــه	ماعـلى الايام لو كان أجـــابه

وناجى فى تجسيمه متمكن من قيادة فكرته بأسلوبه الموسيقى الموحى ولعل أروع مثل يمكن أن نتخذه على قدرة ناجى على التجسيم هو قصيدته «العودة» التى أشرنا اليها من قبل ..

ومن وســائل التعبير الرمزى أيضا تراسل الحواس ، اى وصف المرئى بما يوصف به المسموع ووصف المسموع بما يوصف به المشموم ، وكذلك وصف المحسوسات بصفات المعنويات ووصف المعنويات بصفات المحسوسات ، وقد استخدم ناجى هذه الوسيلة أيضا أبرع استخدام ، ولنسمعه حيث يقول :

أين من عينى حبيب ســـاحر	فيـــه نبل وجـــلال وحيـــاء
واثق الخطـــوة يمشى ملكـــا	ظـالم الحسن شـــهى الكبرياء
عبق الســحر كأنفـاس الربـــا	ساهم الطرف كأحـــلام المساء
مشرق الطلعـــة فى منطقـــه	لغـــة النور وتعبير الســـماء

أما عن الموسيقى فى شعر ناجى ، فقد عرفنا أن شعرنا التقليدى كان يتميز بموسيقاه الرنانة الصاخبة ولم تكن موسيقى العرب الاولين قـد عرفت الاصوات البالغة فى علوها ولا الهبطات الخاطفة (١) ، وقد سايرهم كثير من شعراء العصر الحديث فى هذه الانماط الرتيبة ولكنا مع هـذا نجد من شعراء الشرق المحدثين من لون موسيقاه الشعرية بهذه الالوان ويرى الاستاذ السحرتى أن ناجى كان من هؤلاء الشعراء الذين حفـل شعرهم بهذا النوع من الموسيقى ، واذا كانت الوحدة الشعرية كمـــا يعرفها الاستاذ السحرتى هى « الرباط الذى يضم التجربة والصـور والانفعالات والموسيقى والالفاظ فى وشاح خفى اثيرى وبهذه الوحـدة يتـكامل القصيد وتدب فيه الحيـاة » فان الموسيقى هى العصب الذى يضم كل هذه الوحدة الشعرية .

وموســيقى ناجى موسيقى داخلية خفيـة تتسرب الى النفس فى هوادة ولين فتفعل بها مالا تفعله الموسيقى الصاخبة التى قد تثير الإنتباه بضجيجها ولكنها بعد ذلك تمل برتابتها وينتهى أثرها فور انتهاء ضجيجها

---

(١) مصطفى عبد اللطيف السحرتى ـ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ـ ص ١١٣ .

ولكن الموسيقى الداخلية تعيش لفترة أطول لانها تنفذ الى الوجدان ولانها لاتعتمد على الوزن والقافية المجردين .

واذا كانت موسيقى القصيدة تقوم على عناصر هى : الوزن والقافية والالفاظ وتموجاتها وتوافقها ونظامها ، فان علينا أن نلقى على ذلك نظرة عاجلة فى شعر ناجى فاما بالنسبة للوزن والقافية فان الشاعر بقى مقيدا بالأوزان الشعرية العربية فلم يثر على هذه الأوزان محطما شكلها التقليدى مبتكرا وضعا موسيقيا جديدا ، لقد حافظ ناجى على هذه الاوزان العربية وكل ما ادخله ناجى من تغيير هو أنه كان احيانا مايكتب قصيدة واحدة من وزنين مختلفين ، فبملحمة الاطلال مثلا جعل ناجى بعض فقراتها على تفاعيل بحر الرمل تاما ثم جعل بعضها على تفاعيل نفس البحر مجزوءا وذلك للمواءمة بين الشكل والمضمون ، وقد ابتدع ناجى « وزنا جديدا » نراه فى قصيدته « عاصفة روح » :

أين شط الرجاء   ياعباب الهموم
ليلتى أنواء   ونهارى غيوم

***

اعولى يا جراح   اسمعى الديان
لا يهم الرياح   زورق غضبان

***

البلى والثقوب   فى صميم الشراع
والضنى والشحوب   وخيال الوداع

***

وهو من نصف وزن المتدارك ، وقد نظم أبو القاسم الشابى قصيدة من نفس الوزن يقول فيها :

الوداع الوداع   ياجبال الهموم
يا فجاج الاسى   ياضباب الجحيم
قد جرى زورقى   فى الخضم العظيم
ونشرت القلاع   فالوداع الوداع

واذا كنا لانستطيع أن نحدد أى الشاعرين سبق صاحبه الى النظم فى هذا الوزن الجديد ، فان الذى يهون الامر أن الشاعرين ينتميان الى جماعة أبولو نفسها مما يقطع بأن شعراء الجماعة كانوا يستفيدون من تجارب بعضهم البعض ، ويرى الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل فى

مقدمته لديوان ناجي أن هذا الوزن عرفه أصحاب الموشحات الاندلسيون وأن فى استخدام ناجي لبعض أوزان الموشحات التفات الى ينبوع ثر من ينابيع النغم الشعرى الحلو واثراء لموسيقى القصيدة العربية الحديثة بروافد نغمية منوعة • ولناجى شعر منثور ، منه هذه القصيدة « بحر وذكرى ودمعتان » :

يالله مما يحمل لى هذا المساء العطر المبتل الساكن ...

مبتل لانه مندى بالدموع .

وساكن لانه كالنغم الذى يكون صمته أروع من ايقاعه •

ومنه كذلك قوله فى قصيدة « اليها » :

لم يزل فى شميمى عطرك العبق ..

وبين جفنى خيال أحرص عليه كحياتى ..

وفى مسمعى ضحكة حلوة كرنين البللور ..

وبين يدى كنز من يديك مسلمتين ومودعتين .

وكان ناجي يتحرر فى قصائده من القافية الى حد معين ، فبعض قصائده موحد القافية وكثير منها مزدوج القافية أو على نظام الرباعيات، وبعضها تتغير قافيته فى كل عدد من الابيات .

ولعل السبب الذى جعل ناجى يغير فى قوافيه كل هذا التغيير هو أن عواطفه غالبا ماتملى عليه الشكل الذى تتخذه القصيدة ، وهو يغير قوافيه حتى فى القصائد الصغيرة ، وللاستاذ السحرتى رأى يوافق به الشاعر على اتجاهه حيث يقول : « انه لامفر للمجددين فى هذا العصر من تطعيم موسيقى الشعر بالانغام المنوعة والتفعيلات الجديدة ، ولايكون هذا الا بهجر القافية الواحدة .. وقد آن لشباب الشعراء فى الشرق أن يتذرعوا بالشجاعة الادبية ويشقوا طريقهم الجديد غير حافلين بالموسيقى الرتيبة .

بقيت من عناصر الموسيقى الشعرية ، الالفاظ وطريقة صياغتها وسياقها ، وتمتاز ألفاظ ناجي بالسهولة والحنان والود ، ألفاظ توحى وتهمس وتناجي وخاصة عندما يناجي أحباء قلبه ، وفى غير شعره المرتجل أو الذى قيل فى المناسبات فان لفظته فراشية دقيقة وعباراته مجنحة هفهافة ، بل ان رقة لفظه لتسيل أحيانا حتى فى قصائده الوطنية ، وللشاعر لغته الخاصة التى تخالف ما اصطلح عليه الناس من لغة ، فألفاظه تحمل من المعانى والدلالات والظلال مايجعل شعره جنة وارفة

نابضة ، وهى سريعة متواكبة يدفع بعضها بعضا حتى لنحسبها صورة لنفسه القلقة وطبعه الملول ، وفى لغة ناجى تعبيرات مصرية مثل :

نعطى ونأخذ فى الحديث ومقلتى   مسحورة بجمـــالك الوضـــــاء

وفى نظرة أخيرة الى الملامح الفنية فى شعر ناجى نجد أنه قد جدد الى حد بعيد فى مضمون قصائده وجدد الى حد ما فى شكلها ، وقد أثرى ناجى لغتنا العربية بتجارب فنية رائعة صاغها لنا فى قوالب فنية ساحرة ولغة عذبة ، وقد رأينا مايتميز به ناجى من صفات فنية جعلته علما من أعلام جيله ، جيل التجربة الذاتية والتعبير عن العاطفة والوجدان .

الفصل التاسع
ناجي في نظر النقاد

بقدر مايكون الشاعر أصيلا بقدر مايثير من جدل ونقاش بين النقاد، وقد قابل ناجي كثيرا من الجدل والنقاش بل والتهجم من النقاد مما أثر في حياته تأثيرا بليغا ، وقد عرفنا من قبل أن جماعة ابولو ظهرت الى الوجود في ظروف غير ملائمة على الاطلاق ، فشعراؤها الشباب الذين نهلوا من الثقافات الاجنبية وارتادوا آفاقا جديدة على الشعر العربي كانوا ينتظرون الفرصة الملائمة لكي يحتلوا مكانة أدبية لائقة تتفق مع طموحهم ومواهبهم ، والمعركة بين القديم ممثلا في شوقي ومن جرى مجراه والجديد ممثلا في جماعة الديوان كانت ما تزال ماثلة في الاذهان ، وعلى الرغم من الهجوم القوى الذى قام به العقاد والمازني في الديوان على معاقل التقليد الا أن تلك المعاقل كانت ماتزال باقية ، وشعراءالتقليد كانوا مايزالون يحتلون مكانتهم وان لم يخرجوا من الدائرة التى ساروا فيها من قبل الا قليلا أو بمعنى أدق لم يحاول التجديد منهم الا شوقي بمفرده ، وجماعة الديوان وان كانت دعوتها ماتزال محل جدل ونقاش الا أن الجماعة نفسها قد اصيبت في الصميم ، فقد انقسمت فيما بينها ، فالمازني يهاجم شكرى ويسميه صنم الألاعيب ، وشكرى يتهم المازني بسرقة الاشعار الاجنبية ونسبتها الى نفسه ، وينتهى الامر بأن يعتزل شكرى الشعر والناس وأن يتجه المازني الى الصحافة ويهجر الشعر وأن يبدد العقاد طاقاته في المعارك السياسية .

في هذا الجو ظهرت أبولو ، ولعل شعراء أبولو كانوا يتوقعون التهجم عليهم من جانب أنصار القديم أولا نظرا للتجديد الذى عزموا من أول يوم على أن يقدموه في أشعارهم حتى أن الاسم الذى اختاروه لجماعتهم كان مثارا للكثير من التعليقات لأن أبولو اسم عالمي ينبىء عن الاتجاه بالشعر وجهات انسانية وعالمية .

وكأنما أراد شعراء ابولو أن يأمنوا جانب أنصار القديم الذين توقعوا منهم الهجوم عليهم ، ولان انصار القديم هؤلاء كانوا مايزالون

يحتلون المكانة الادبية الاولى فى مصر ، فاختاروا أمير الشعراء أحمد شوقى رئيسا لجماعتهم وبدا أن الامور تسير فى مجراها الطبيعى ، فشوقى يفتتح العدد الاول من ابولو بأبيات يقول فيها :

ابـولو مرحبـــا بك يا ابـولو	فانك من عـكاظ الشـــعر ظل
عكاظ وأنت للبلغـــاء سـوق	على جنبـــاتها رحـلوا وحـلوا

وها هو الشاعر الجهير أحمد محرم يرحب بالمجلة فى بدء عامهـا الثانى ويرى أن هـؤلاء الشبان نفثوا فى الشـعر ثورة كبرى ، وهـاهم شعراء أبولو يفتحون صدر مجلتهم لكل شاعر حتى لنرى الشعر القديم المغرق فى القـدم ينشر الى جـانب الشـعر المترجم عن هيجو وشيللى ولامارتين ، وشعر المناسبات ينشر الى جوار شعر الاساطير الذى أدخله الى العربية أحمد زكى أبو شادى .

ولكن المهـادنة بين هؤلاء الشـعراء الجدد وانصار القديم لم تكن لتطول ، فبعد وفاة احمد شوقى اختارت الجماعة خليل مطران رئيسـة لها ، ومطران مجدد كبير وان كان تجديده يجرى فى تؤدة وفى صمت ، والمعركة بين انصار القديم والجديد معركة أزلية فى كل زمان ومـكان ، فأنصار القديم عندما يدافعون عن قديمهم انما يدافعون عن حيـاتهم ، تلك الحياة التى لايستطيعون أن يحيوا سواها ، وانصار الجديد عندما يدافعون عن الجديد انما يدافعون عن حياتهم أيضا ، لان الحياة فى نظرهم تيار متدفق يتابع مجراه دون توقف .

وبالفعل فان شعراء التقليد احســوا بطغيان هؤلاء الشـبان على الحياة الادبية بما يخرجون من دواوين وبما يكتبون فى مجلتهم من شعر ودراسات للشعر العربى والاوربى على السواء (١) .

وبدأت المعارك بين القديم والجديد ، معارك فردية غالبا انبثقت من الاختلاف فى المفاهيم بينهم ، فالتقليديون يهاجمون الشعر المترجم وشعر الاساطير ويتهمون شعراء أبولو بأنهم افسدوا الشعر واللغـة .. واذا كانت المعركة بين القديم والجديد طبيعية ولامفر منها ، فان أغرب ماهناك أن يقف رواد التجديد الاول فى وجه هؤلاء الشبان المتفتحين وأن تكون بينهم معارك حامية وطويلة ، وأيا كانت الاسباب المباشرة او غـير المباشرة لذلك فاننا سنحاول أن نتلمسها من خلال عرض تلك المعارك فى ايجاز ، وقد يظن أن فى هذا خروجا على موضوع بحثنا ولكن الذى حدث أن معركة ناجى مع الاستاذ العقاد والدكتور طه حسين ، لم تكن سـوى

---

(١) عبد العزيز الدسوقى ــ جماعة ابولو ــ

حلقة وسط صراع طويل عانته جماعة أبولو ككل وعاناه كل شاعر من شعرائها على حدة منذ بدأت جهودهم تظهر الى النور ...

فتحت جماعة أبولو صدر مجلتها لكل الشعراء من مختلف الاتجاهات ، وعنيت أن تعلن أنها لم تقم لتنادى بمذهب معين ــ فما نادت بمذهب محدد على الاطلاق ــ وانما قامت لتشجع كافة الاتجاهات الشعرية ولترتقى بالشعر بعامة ولتفتح صدرها لكل مناقشة تهدف الى اثراء الشعر العربى وتوسيع آفاقه ، ورأينا الاستاذ العقاد يكتب كلمة فى العدد الاول من المجلة منتقدا تسميتها « أبولو » ومقترحا أن تسمى باسم « عطارد » لان الاسم الأخير أكثر دلالة على شرقيتنا ، وفى أحد أعداد المجلة نقرأ مقالة للشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى منتقدا عن دراسة ووعى التجاء شعراء أبولو بكثرة الى الرمز مما يصيب شعرهم بالغموض ، ومشبها ذلك بالأرض المحدودة التى يتكاثر فيها النبات حتى يضر بعضه البعض ، وسارت الأمور فى مجراها الطبيعى الى أن نقدت مجلة «أبولو» ديوان «وحى الاربعين» للاستاذ العقاد .. واذا كان نقدهم لديوان العقاد هو السبب المباشر للخصومة المستمرة المتوالية بينهم وبين العقاد وتلامذته والتى انتهت باغلاق المجلة وفض الجماعة ، اذا كان ذلك هو السبب المباشر فهو فى الوقت نفسه ليس بالسبب الحقيقى ، ولعل السبب الحقيقى هو الجو السياسى العام الملبد بالغيوم والمؤامرات التى حيكت حول هؤلاء الشعراء من هنا ومن هناك مما جعل شعورهم بالظلم والضياع يصبح أكثر حدة وعنفا ، ومما جعلهم يحسون بخيبة أمل كبيرة لا حد لها اذ وجدوا أن تجديدهم وكفاحهم فى سبيل الفن لا يجد أذنا صاغية . بل وتتلاشى كل مجهوداتهم فى خضم السياسة المضطرب(١) ، وقد عبروا عن احساسهم بهذا الظلم الفادح والبيئة الجاحدة فى المعارك العنيفة التى سيقوا الى خوضها . وها هو ذا العقاد يحمل عليهم فى عنف هو وتلاميذه ، وها هو ذا سيد قطب يسميهم « مواكب العجزة » ثم ها هو ذا كامل الشناوى يكتب عنهم « وعلى هذا النحو من العبث تسير جماعة أبولو وبهذا الأسلوب الشاذ تجذب اليها بعضا من الشباب كان من الخير لهم ولمواهبهم أن ينأوا بأنفسهم عن هذا الجو » .

وعندما صدر ديوان « وراء الغمام » لابراهيم ناجى ، كان ناجى يحس انه قدم خلاصة ما عنده من موهبة وابداع وكان ينتظر شيئا من التقدير الذى يستحقه أوعلى الأقل شيئا من التشجيع أوالنقد الموجه الذى يبنى ولا يهدم ، وساعد الشاعر على هـــذا التصور ان رفاقه فى أبولو كانوا يعرفون لديوانه قدره الحقيقى وانهم لم يبخلوا عليه بمديح أو ثناء ، وهذا هو أحمد الصاوى محمد يكتب مقدمة الديوان ويقول فيها :

---

(١) عبد العزيز الدسوقى ــ جماعة أبولو ــ ص ٥١٤ .

« كيف يجرؤ الناثر على وصف الشاعر ، وكيف توصف الموسيقا بالكلام ؟ وكيف يعبر بالحروف عن الأحلام» ويقول كذلك في المقدمة نفسها عن ناجي انه « ليس شاعرا فقط ولكنه مصور ومفكر وهو حتى الآن ما يزال يعيش على الغد ويرى ان ظهور هذا الديوان الصغير هو فى تاريخ الأدب يوم مشهود وحركة وثابة جديدة لانه الشـــعر الخالص للشعر والحب الخالص للحب والرحمة الخالصة للانسانية » ، ولكن النقاد المتربصين لم ينظروا الى الديوان الوليد هذه النظرة الشاعرة ، بل على العكس أمسكوا بمعاولهم واستطاعوا ان يمنحوا الشاعر الصدمة الثانية فى حيـــاته بعد صدمة حبه الاول .

على صفحات الجهاد استقبل الاستاذ العقاد ديوان وراء الغمام قائلا : « واظهر ما يظهر من سمات هـذه المجموعة الضعف المريض والتصنع فان صاحبها كما يدل عليه كلامه من أولئك الذين يفهمون أن الرقة ترادف البكاء وان الشاعر ينظم ليبكى ويشكو، فاذا هجره الحبيب بكى واذا تناجى مع حبيبته قال لها «هاتي حديث السقم والوصب» ، الى غير ذلك من الأغراض المريضة التى لا نزال نحاربها منذ عشرين سنة فى الشعر والنثر والغناء ،

ولم يكتف الاستاذ العقاد بذلك بل اتهم ناجى بأنه سرق هذه الابيات من قصيدة « قلب راقصة » :

ياللقـــلوب لملتقى اثنـــين	لا يعلمـــــان لأيمـــا سبب
جمعتهما الدنيـــا غريبين	فتـــآلفـــا فى خلوة عجب
عجبا لنا فى لحظـــــة صرنا	متفـــاهمين لغـير ما أمـــد
يامن لقيتـك أمس هـــل كنا	روحـين ممتزجـين فى الأبد ؟

من قصيدته «بعد عام » التى يقول فيها :

مر عام منـــذ سرنا حيث سرنا	لانبالى ما أتى أو سوف يأتى
منـــذ أن كنا غريبين فصرنا	كل شىء انا فى الدنيـا وأنت

ثم ينهى الاستاذ العقاد مقالته بقوله : «ولو كان صاحب وراء الغمام أكثر أدبا فى الاعتراف بالفضل لأعرضنا عنه وتجاوزنا له كمـــا نتجاوز لغيره، ولكنه يحتاج الى درس كهذا الدرس، وقد ينفعه اذا كان فيه منفع».

ثم يفاجأ الشاعر بمقال آخر كتبه الدكتور طه حسـين ولأمر ما كان هذا المقال هو السبب الاول فى الصدمة النفسية التى أصابت الشـــاعر ودفعته الى هجر الشعر فترة من الزمن ،ربما لانه كان يتوقع من الدكتور طه حسين ترفقا به وتشجيعا له ولم يكن يتوقع منه على الاطلاق كل هـــذا

العنف والتحامل ، ولعل من الافضل أن نعرض أولا لمقالة الدكتور طه حسين قبل أن نتابع الشاعر وهو يلاقي تلك الصدمة العنيفة وهو في لندن.

بدأ الدكتور طه حسين مقاله في رفق ولين : «فليس الدكتور ابراهيم ناجي رجلا حسن البلاء وصادق النية في حب الشعر فحسب ، وانما هو فوق هذا كله موفق الى حد بعيد فيما حاول من ارضاء الشعر واصحابه موفق فيما قصد اليه من المعاني ، موفق فيما اصطنع من الالفاظ وموفق فيما اتخذ من الاساليب(١) » .

ثم يبدأ الكاتب الكبير في الهجوم قائلا : «ونحن نكذب شاعرنا الطبيب ان زعمنا له أنه نابغة ، بل ونحن نكذبه ان زعمنا له أنه عظيم الحظ من الامتياز وانما هو شاعر مجيد تألفه النفس ويصبو اليه القلب ويأنس اليه قارئه أحيانا ويطرب له سامعه دائما ، فاذا نظرنا اليه نظرة الناقد المحلل الذى يريد أن يقسم الشعر انصافا واثلاثا وارباعا ، كما يقول الفرنسيون ، لم يكد يثبت لنا أو يصبر على نقدنا ، وانما يدركه الاعياء قبل أن يدركنا ويفر عنه الجمال الفنى قبل أن يفر عنا الصبر على الدرس والنقد والتحليل » .

وقبل أن يبدأ الدكتور طه فى تقسيم شعر ناجى انصافا واثلاثا وارباعا ، فى نقد جزئى لغوى يتكلم عن الشاعر نفسه ليحدد مكانته بين الشعراء « هو من هؤلاء الشعراء الذين يحسن أن يقرعوا فى رفق لأنهم قد فطروا على رقة لا تحتمل العنف » ويقول : « هو شاعر هين لين رقيق حلو الصوت عذب النفس خفيف الروح قوى الجناح ولكن الى حد ، لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة ولا أن يرتفع فى الجو ارتفاعا بعيد المدى » ويقول أيضا : « شعره كهذه الموسيقى التى يفسدها الفضاء الطلق وتضيع فى الميادين الواسعة وتجود كل الجودة وتحسن كل الحسن حين تغلق الابواب وترخى الاستار » ثم يبدأ الدكتور طه حسين فى نقد الديوان فيرى أن أول عيوبه هو التكلف والحرص الظاهر على اقامة الوزن وعلى اقرار القافية أو على مجاراة جماعة من القراء والمفكرين ويرى الدكتور طه حسين أن قصيدة قلب راقصة «انما هى كلام مألوف قد شبع الناس منه حتى كاد يدركهم الملل» ويرى أن وصف الحانة فى القصيدة ليس فيه جديد ولا طريف ، وقد أوردنا هذه القصيدة فيما سبق ، وسنورد هنا الانتقادات التى وجهها اليها الاستاذ الدكتور طه حسين ، ففى البيتين القائلين :

أمسيت أشكو الضيق والاينا مستغرقا فى الفكر والسأم
فمضيت لا أدرى الى أين ومشيت حيث يجرنى قدمى

(١) الدكتور طه حسين ـ حديث الاربعاء ـ ج ٣ ـ ص ١٧٠ .

يقول الدكتور طه : «ولكن الذى لايستقيم للشاعر المجيد هو الاستغراق فى الفكر والسأم معا فالمفكر لا يسأم والسئم لا يفكر ، لان التفكير يشغل صاحبه حتى عن الضيق والتعب والسأم ، ولان السأم لايمكن صاحبه من التفكير ولا يخلى بينه وبينه ·· ومضى حيث تجره قدمه ، فانظر الى هذه الصورة التى لاتلائم شعرا ولا تلائم لغة ، فالقدم لاتجر صاحبها ، وانما تحمله ، وتحمله متثاقلة مكدودة ان لم يتح لها النشاط وانما يجر صاحب القدم قدمه اذا خرج فاترا مكدودا لايقوى على المشى ولكن الشاعر أراد قافية تلائم السأم فجعل قدمه تجره على حين كان ينبغى أن يجرها هو»(١) ·

ويرد الدكتور محمد مندور على هذه النقطة بالذات بقوله : «فهذا النقد الجارى على منطق الفقهاء أبعد مايكون عن الفهم الدقيق لحقائق النفس البشرية فى زعمه أن السأم لايجتمع مع التفكير ، كما أنه كان أبعد مايكون عن عبقرية اللغة والفن عندما أخذ على الشاعر قوله ان قدمه أخذت تجره بدل أن يجرها هو ، فالسأم كما يكون نتيجة لفراغ النفس من كل فكر واحساس قد يكون أيضا من اطالة التفكير واجتراره بل قد يكون منصبا على السأم نفسه ، كما أن التعبير بالقدم التى تجر صاحبها تعبير رائع دقيق لانه يوحى بالحالة النفسية التى كانت مسيطرة على الشاعر أكبر الايحاء ، فهو لايسير عن قصد وارادة وهدف بل يتحرك فى شبه آلية وعندئذ تجره قدمه لا العكس» (٢) ·

ويمضى الدكتور طه حسين فى نقد قصيدة «قلب راقصة» فيرى أن البيتين :

يا للقلوب لملتقى اثنين	لا يعلمان لأيما سبب
جمعتهما الدنيا غريبين	فتآلفا فى خلوة عجب

فيهما ملاءمة ثقيلة بين اثنين وغريبين ، ثم يتساءل قائلا : « وما رأيك فى الشاعر الذى يلقى صاحبته ويلح فى لقائها ، حتى اذا ظفر به أراد أن نضرب له موعدا وألح فى ذلك حتى فعلت ، ثم التقيا بعد انتظار وخوف يشبه اليأس ، ثم هو بعد ذلك لايدرى لم يلقاها كما أنها لاتدرى لم تلقاه ؟ هذا كثير ، لامصدر له الا أن الشاعر تكلف مالايحسن ودفع نفسه الى موطن لم يتعود الاضطراب فيه » (٣) .

ويمضى الدكتور طه حسين فيعرض لهذين البيتين :

---

(١) الدكتور طه حسين ـ حديث الاربعاء ـ ج ٣ ـ ص ١٧٠ وما بعدها .
(٢) دكتور محمد مندور ـ الشعر المصرى بعد شوقى ـ الحلقة الثانية .
(٣) د . طه حسين ـ حديث الاربعاء ـ ج ٣ ـ ص ١٧٠ وما بعدها .

عجبـــا لقلب كان مطمعـــــه طربا فجـــــاء الامر بالعـــكس
وأشد ما فى الـــكون أجمعــه بين القـــلوب أواصر البؤس

فيرى أن تعبير «جاء الأمر بالعكس» خرج من الأزهر الشريف ويعجب كيف اهتدى الى شاعرنا الطبيب ، ثم يرى أن كلمـــة «أجمعه» يمكن ضم عينها أو كسرها « فأنت اذا ضممت أرضيت القافية وأغضبت النحو ، وأنت اذا كسرت أرضيت سيبويه وأغضبت الخليل » • ويستمر الدكتور طه حسين فى مثل هذا النقد لسائر الديوان متمسكا بالجزئيات ، على حين أن من أول مبادىء النقد الحديث أن ينظر الى العمل الفنى ككل وأن تقدر التجربة الانسانية التى عاشها الشاعر أو الفنان أما الجزئيات فانها وان كانت لها أهميتها الا أنهـــا ليست كل شيء وخاصة فى الشعر ، بل ان الدكتور طه حسين يرى أن عنوان الديوان « وراء الغمام » عنوان متكلف فى حين أن العنوان يدل على شاعرية محلقة •

وقد عرضنا لقصيدة «قلب راقصة» من قبل وقلنا أنها تعد من روائع الشعر العربى الحديث ويرى الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى أن نقد الدكتور طه حسين لهذه القصيدة كان «نقـــــدا فقهيا بحتا دار حول الصياغة من الناحية اللغوية والنحوية دون النظر الى روح الشعر وجوهره وما يخفق فيه من نبض وانفعال (١) » وكذلك فان الدكتور محمد مندور يرى أن التـــذوق الفنى الذى أخــذ ينمو فى الأجيال الناهضـــة لا يقر الدكتور طه حسين على هذا النقد ، كما انه لا يخطىء الاحساس بما فى هذا الشعر من جمال وصدق (٢) .

قلنا ان «ناجى» تلقى صدمة حياته الثانيةمن مقال الدكتور طه حسين بالذات ، فبينما كان الشاعر ينتظر من الاديب الكبير كلمة تقدير أو تشجيع تعينه على مشقة السير فى طريق الشعر والادب اذا به يتلقى منه نقـــدا كأعنف مايكون النقد ، واذا كانت حملة الاســـتاذ العقـــاد عليه مفهومة ومتوقعة باعتبارها سلسلة من الحملات التى شنها على جماعة أبولو باجمعها فان حملة الدكتور طه حسين لم تكن متوقعة بأية حال ، اذ كان من المنتظر أن يقدر الاديب الكبير مافى الديوان من جهد وما فيه من تجارب فنيـــة جديدة •

كان ناجى فى لندن عندما وقعت فى يده صحف القاهرة أثناء احتدام المعركة حول ديوانه ، وقرأ مقالة الدكتور طه حسين ، وكان يتوقع منه كل شيء الا هذا الكلام الذى قرأه ، فغامت الدنيا فى عينيه وأخذ يهيمفى شوارع لندن لايدرى شيئا مما حوله ، حتى دهمته سيارة عابرة فكسرت ساقه ولزم

---

(١) مصطفى السحرتى ـ النقد المعاصر فى ضوء الشعر الحديث ـ ص ٢٠٣ •
(٢) د • محمد مندور ـ الشعر المصرى بعد شوقى ـ الحلقة الثانية •

الفراش فى المستشفى لمدة طويلة ، ثم أجريت له جراحة انتهت بالنجاح وخرج الشاعر من المستشفى ليعود الى وطنه وفى نفسه من مرارة الصدمة مافيها ، وعندما وصلت به الباخرة الى الاسكندرية هتف من أعماقه :

هتفت وقد بدت مصر لعينى رفاقى تلك مصر يارفاقى
خرجت من البلاد أجر همى وعدت الى البلاد أجر ساقى

ولم يقف الجدل والنقاش حول ناجى وشاعريته حتى بعد وفاته وقد صدرت دراسات كثيرة عنه أعدها كتاب منصفون من عشاق فنه أو من أصدقائه ، من ذلك أن الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أصدرت كتابا عنه بعنوان «ناجى الشاعر» يعتبر من الدراسات القيمة ، لولا أنها عندما تعرض لنقد الشاعر تنقده نقدا جزئيا فقهيا فعندما تعرض لقول ناجى فى هذه الأبيات :

هل رأى الحب سكارى مثلنا كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا فى طريق مقمر تثب الفرحة فيه قبلنا

وتطلعنا الى أنجمه فتهاوين وأصبحن لنا
وضحكنا ضحك طفلين معا وعدونا فسبقنا ظلنا

* * *

وانتبهنا بعد مازال الرحيق وأفقنا ليت أنا لا نفيق
يقظة طاحت بأحلام الكرى وتولى الليل والليل صديق

واذا النور نذير طالع واذا الفجر مطل كالحريق
واذا الدنيا كما نعرفها واذا الأحباب كل فى طريق

عندما تعرض لهذه الأبيات التى يتضح فيها طبع الشاعر الأثيرى الخفيف والتى تشرق الصورة من خلال تعابيرها اشراقة حلوة نضرة كوجه الطفل (١) ، عندما تعرض لهذه الصورة فانها تعيب قوله « واذا الفجر مطل كالحريق » زاعمة أن الفجر لا يمكن أن يشبه الحريق لأنه بطبيعته ندى رطب ، ويقول الدكتور مندور فى ذلك : «وهذا أيضا ضرب من نقد الفقهاء الذين لايستطيعون النفاذ الى أسرار الشعر فالشاعر هنا لايتحدث عن الفجر الندى الرطب الذى تعرفه السيدة نعمات ، وانما يتحدث عن الفجر الذى وضع حدا لليل الجميل الذى كان يضم الشاعر وحبيبته فرأى فى ضوء الفجر حريقا يوشك أن يلتهم لحظات السعادة التى كان ينعم بها فى ظلال الليل وهذا التعبير وحده يعدل ديوانا من الشعر التقليدى الدارج ٠٠ »

---

(١) د ٠ محمد مندور ـ الشعر المصرى بعد شوقى ـ حلقة ٢ ٠

الفصل العاشر
نهاية الشاعر

وقفنا فى حياة الشاعر عندما بدأ نجمه يلمع فى عالم الشعر ، وذكرنا أنه ظل يصدر تغاريده الشعرية الرائعة التى تحمل أجمل تعبير عن عاطفته ووجدانه ، الى أن لقى صدمة حياته الثانية ـ بعد صدمة حبه الاول ـ عندما ظهر ديوانه «وراء الغمام» وتلقاه النقاد لقاء حادا ، وأعملوا معاولهم فى الشاعر الرقيق العذب الروح ، ولم يكن شاعرنا الذى لمع فى الأوساط الأدبية وتلقى القراء الأدباء أشعاره لقاء الأنفس العطشى للماء الزلال والذى أصبح وكيلا لجماعة أبولو، لم يكن يتوقع شيئا من ذلك وانما كان ينتظر بعض التقدير من النقاد الذين يوجهون الرأى العام الأدبى فى ذلك الحين ، فلما لم يحظ الا بالتهجم والتحامل قرر أن يهجر الشعر. تركنا الشاعر عند هذا الجزء من حياته والآن وبعد أن ألممنا بشعره الوجدانى وملامحه الفنية وبأقوال النقاد فى شاعريته ، يمكننا أن نعود الى حياة الشاعر من جديد ، لنتابعه حتى النهاية .. نهاية النغم الحزين الذى أثمل النفوس والاسماع بألحانه العذبة الشجية طوال جيل من الزمان وما زال يثمل النفوس والأسماع المتعطشة دوما الى الحب وسيظل يثملها ما دام هناك شعر وشعراء .

قرر الشاعر أن يهجر الشعر الى الأبد لما لاقاه من انكار وجحود ، وعندما عاد من لندن بعد شفائه من صدمته كان يقول وقلبه ينضح بالمرارة :

هتفت وقد بدت مصر لعينى	رفاقى ، تلك مصر يا رفاقى
خرجت من البلاد أجر همى	وعدت الى البلاد أجر ساقى
أتدفعنى وقد هاضت جناحى	وتجذبنى وقد شدت وثاقى

ولكنه وان هجر الشعر لا يمكنه أن يهجر الأدب على الاطلاق ، فاتجه فى تلك الفترة الى القصة والترجمة يحاول أن يفرغ فيهما طاقاته الفنية

المتمردة ، وعلى الرغم من أنه لم يبلغ فى أى ميدان من ميادين التأليف التى خاضها شيئا مما بلغه فى ميدان الشعر الا أن هذه الفترة لم تكن فترة مجدية على الاطلاق ، بل استطاع ناجى أن يحرك قلمه فى اتجاهات جديدة ولعل أعظم ما فى هذه الاتجاهات أنها كانت تنفيسا عن الشاعر الذى هجر الشعر ، وعن طريق الكتابة والتأليف فى شتى الموضوعات بدأت ثورة الشاعر النفسية تهدأ رويدا .

ولعل من الاوفق ان نلقى هنا مزيدا من الضوء على انتاج الشاعر فى هذه الفترة ، فنحن لم نتعرض لهذا الانتاج لانه لا يدخل ضمن الهدف الرئيسى لنا وهو دراسة شعره ، وان كان انتاج ناجى فى تلك الفترة يدلنا دلالة لاشك فيها على مدى تنوع ثقافته ، ففضلا عن الدراسات الادبية المتنوعة نجده يدرس علم النفس والمذاهب الفلسفية والسياسية بالاضافة الى الطب وغيره من المعارف التى كان يلم بها بحكم مهنته ، فكتب كتاب « مدينة الاحلام » وبه قصة بهذا الاسم استوحاها من مهدطفولته بالاضافة الى قصص ومقالات مترجمة فى الادب وفى الاجتماع وعلم النفس ، وفى مقدمة هذا الكتاب يأبى الشاعر الا أن يعلن ثورته على الشعر « وداعا أيها الشعر .. وداعا أيها الفن .. وداعا أيها الفكر » ، ثم كتب وترجم بعض القصص والمسرحيات مثل قصص الحرمان والنوافذ المغلقة ، واقتبس عن دستويفسكى للفرقة القومية للتمثيل مسرحية الجريمة والعقاب كما ترجم عن الادب الايطالى مسرحية «الموت فى اجازة» ونشر عدة مقالات ومحاضرات فى الفلسفة والاجتماع والنقد واصدر بعضها فى كتب مثل «رسالة الحياة» و «كيف نفهم الناس» و «شكسبير» ونذكر كذلك أنه نشر له بعد وفاته ترجمة لديوان « أزهار الشر » للشاعر الفرنسى شارل بودلير مع دراسة لحياة هذا الشاعر قائمة على التحليل النفسى (١)، كما اشترك مع الدكتور اسماعيل أدهم فى كتاب «توفيق الحكيم الفنان الحائر» ، وللاستاذ الدكتور محمد مندور رأى فى ابحاث ناجى ، فهو يرى أن شعره أفضل من ابحاثه تلك ويرجع ذلك « الى طبيعة ناجى نفسه وهى طبيعة دائمة التوثب من فنن الى فنن كطائر سواء بسواء ، ومثل هذه الطبيعة لا قدرة لها على التحليل والدرس والصبر عليهما ، ولذلك كنا نراه يقفز فى أبحاثه من فكرة الى أخرى لكن قلما يستطيع بناء فكرة على أخرى (٢) » .

وعلى أية حال فقد سبق أن قلنا ان الابحاث والدراسات التى نشرها ناجى وخاصة تلك التى صدرت فى خلال فترة هجره للشعر كان المقصود بها التنفيس عن طاقات الشاعر الفنية ، وكان لهذه الفترة أيضا على الشاعر فضل كبير اذ ازدادت فيها قراءاته تنوعا .

---

(١) الدكتور محمد مندور — الشعر المصرى بعد شوقى — حلقة ٢ .

(٢) المصدر السابق .

ولم يكن البلبل المغرد ليقوى طويلا على هجر التغريد ، فبدأ الشاعر يحن الى ترجيع أناشيده من جديد ، وفى تلك الفترة حدث ما شجعه على العودة ، فقد عرفنا أن مقال الدكتور طه حسين كان السبب المباشر فى صدمة ناجى ، وكان الدكتور طه حسين هو أيضا السبب فى عودة ناجى الى الشعر ، فقد كتب يوما يقول « انى لم احزن حين رأيت الدكتور ناجى يعلن زهده فى الشعر ، لأنى قدرت أن الدكتور ناجى ان كان شاعرا حقا فسيعود الى الشعر راضيا أو كارها سواء ألحت عليه فى النقد أو رفقت به ، ولو لم يكن شاعرا فليس على الشعر بأس فى أن ينصرف عنه ويزهد فيه ، وانى منتظر أن يعود الدكتور ناجى الى جنة الشعر ، فاننى أرى فيه استعدادا لا بأس به وأظنه ان عنى بشعره واستكمل أدوات فنه خليقا أن يبلغ فيه شيئا حسنا . »

وكان هذا تحريضا جميلا من الدكتور طه حسين لناجى كى يعود الى الشعر ولاقى التحريض من الشاعر استجابة وترحيبا ، فقد كانت نفسه المتشوقة الى دوحة الشعر الوارفة تحفزه دوما الى العودة ، فعاد يغنى كأجمل ما كان يغنى ...

ونستمر مع الشاعر فى تيار حياته بعد أن عاد الى الشعر من جديد، فنجده فى تلك الآونة يعمل طبيبا بوزارة الأوقاف وكانت أيامه فى تلك الوزارة حتى ذلك الحين طيبة رضية ، فرؤساؤه يقـــــدرون فيه موهبته الشعرية وحياته العامة تسير به كأحسن ما تسير وربة الشعر تظلله بجناحيها وكانت الحياة بما فيها من فتنة وجمال تلهب حواسه وشاعريته فينغمس فيها الى أقصى حدود الانغماس ويمر بتجارب عاطفية عديدة يحولها بعد حين الى تجارب شعرية رائعة .

وفى تلك الفترة التى طاب له فيها العيش فى وزارة الأوقاف نجد أن وظيفته تضطره الى أن يجامل هذا أوذاك من الوزراء والكبراء ، فيجرى لسانه بما لم ينفعل به وجدانه ذات يوم من شعر المناسبات الذى تحدثنا عنه فيما سبق حتى ليحوى ديوانه الثانى : «ليالى القاهرة» كثيرا من شعر المجاملات .

ولم يكن من الممكن أن تظل أيامه فى وزارة الاوقاف على طيبها فقد تولى عهد وزراء الأوقاف الثلاثة الذين كانوا يرعون الشاعر ويقدرون أدبه، وبدأت الأحقاد تطل برأسها وتحيط بالشاعر حتى اتهمه أعداؤه بأنه الشاعر الذى يقول عنه الشعراء انه طبيب والطبيب الذى يقول عنه الأطباء انه شاعر وهو لا هذا ولا ذاك (١) ، وظلت الوشايات والدسائس تلاحقه حتى

(١) صالح جودت ــ ناجى حياته وشعره ــ ص ١٢٧ .

انتهى الأمر باخراجه من وظيفتـــه عام ١٩٥٢ وهو ما يزال فى الخامســة والخمسين من عمره ، وكانت تلك صدمته الثالثة .

وكانت صحة الشاعر فى تلك الفترة قد تدهورت ، فهو يبدد ليله فى السهر ولا يعود الى بيته الا مع الصباح ، ثم يخرج الى المقهى ظهرا ثم يذهب الى عيادته فى المساء ومن ثم يبدأ حياة الليل وما فيها من سهر وأحاديث وانفعالات وفى تلك الدوامة لم يكن الشاعر يفيق ليرعى صحته العليلة ــ فقد كان عليلا منذ طفولتــه ــ ولم يكن يهتم بمأكل ولا بمشرب بالاضافة الى أنه مر بعـــد خروجه من وظيفته بأقسى أيام حياته فمعاشه محدود وعمــلاؤه من المرضى لم يكن أغلبهم قــد تعود أن يدفع أجــرا الى الطبيب الانسان .

وفجأة ، جاءته النهاية فى ٢٤ مارس سنة١٩٥٣ كان الشاعرالطبيب يعالج أحد مرضاه وبينما يتسمع دقات قلب مريضه مات هو ، ماتالطبيب والشاعر والانسان ، مات جسدا ولـكنه ما زال وسيظل أبدا روحا هائما فى سماء الكون الذى طالما تغنى به وانشده أعذب وأشجى ألحانه .

خــاتمة
أثر ناجي في الأجيال اللاحقه

ربما كان من الأفضل أن ننهي البحث بالفصل السابق ، الذى كتبناه عن « نهاية الشاعر » ، فهكذا درجت الكتب والابحاث التى تكتب عن شخصية معينة، ولكننا نحس اننا لم نف الشاعر حقه بعد وان هناك نقطة بالذات تستحق أن تناقش قبل أن ننهي هذا البحث ، وهى أثر ناجى بصفة خاصة وأثر جيل ناجى كله بصفة عامة فى حياتنا الأدبية المعاصرة ، فقد ألمنا بجيل أبولو ، ذلك الجيل من الشعراء الذى نشأ فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ليعانى من فساد الجو السياسى الحزبى وليحس شعراؤه بأنهم مقيدون مظلومون فيلجئوا الى أنفسهم يعيشون فى أوهامها وأحلامها وأشجانها ويعكفون على أحزانهم يجترونها، وهم فى ذلك متأثرون بالحركات التجديدية التى سبقتهم والتى تأثرت بالأدب الرومانسى فى الغرب ، وهم متأثرون أيضا بذلك الادب نفسه نتيجة لاتصالهم المباشر به ، ورأينا كل ذلك ينعكس فى أشعارهم ، وها هم أولاء يغوصون الى أعماق النفس الانسانية ويعيشون معها فى أغوارها السحيقة ليصوروا مافيها من مخاوف وهواجس وأحلام وحيرة ازاء الكون ، وها هم أولاء ينطلقون الى الطبيعة يبثونها أشجانهم وأحزانهم ويذيبون فى أنهارها ووديانها ما فى أنفسهم من أسى ولوعة ، ثم يخلعون أساهم على تلك الطبيعة ويدمجون أنفسهم فيها ثم يدمجونها فى أنفسهم ثم ها هم أولاء يلجئون الى المرأة يبحثون لديها عن الحب والألم ، ها هم أولاء يعبرون عن كل هذه التجارب فى أشعارهم ، فهم يؤمنون بالتجربة الشعورية ويؤمنون بأن الشعر تعبير عن الوجدان الذاتى للشاعر .

وقد استطاع جيل ابولو أن يتطور بالشعر تطورا كبيرا ، فقد جدد فى البناء الداخلى للقصيدة، ويقصد بهذا التجديد «تنسيق الافكار والصور الشعرية والأخيلة والعواطف ومراعاة النسب فيما بينها وبين الشكل الخارجى أو البناء الفنى بحيث يخرج العمل الفنى متكامل الاجزاء متناسق الشكل والمضمون والوحدة الفنية (١) » ، واذا كان خليل مطران قد نادى

---

(١) عبد العزيز الدسوقى ـ جماعة ابولو ـ ص ٥٥٩ .

بوحدة القصيدة منذ وقت مبكر من القرن الحالى وجاءت جماعة الديوان فنادت بالوحدة العضوية للقصيدة، فان هذه الوحدة العضوية قد تحققت على أوسع نطاق فى شعر هؤلاء الشعراء من جيل ابولو ٠

وبين جيل ابولو يشمخ الدكتور ابراهيم ناجى عاليا ، وقد رأينا أثناء دراستنا للملامح الفنية فى شعر ناجى كيف أن هذا الشعر يحوى كل مميزات المدرسة الوجدانية الرومانسية، فمن انطلاق داخل النفس الانسانية للبحث عن أسرارها وهواجسها ، الى التوغل فى أعماق وجدانه لكشف انفعالاته وأحاسيسه ، الى تأمل فى الكون والطبيعة وربط بين ذات الشاعر وبين مايحيط به. وفى شعر ناجى نلمح أيضا التجديد فى البناء الداخلى ووحدة القصيدة وكذلك التجديد فى الموسيقى والوزن والقافية ، وان كان تجديده فى الوزن محدودا الى حد كبير وتجديده فى القافية متوسعا الى حد ما ، فهو يخرج على القافية الواحدة كثيرا ولكنه لم يتخلص من القافية على وجه الاطلاق الا نادرا ٠ ولو أن ناجى عنى بالتجديد فى شكل القصيدة كما عنى بالتجديد فى الجوهر فربما كان قد امتعنا أكثر وأكثر ، اذ أن التجديد فى الشكل وعدم التقيد بالقافية ولا بالطريقة الكلاسيكية فى النظم يمنح الشاعر قسطا كبيرا من الحرية فى الخيال والتعبير ، وربما كان قد منحنا من أنغامه الحلوة مزيدا يمتعنا ويشجينا ويمتع الأجيال القادمة ٠

واذا كان أحمد زكى أبو شادى رائد الجماعة يعتبر «كشكولا شعريا» اذ قال فى كل أغراض الشعر تقريبا من شعر وجدانى الى شعر مناسبات الى شعر مترجم الى شعر أساطير الى مسرحيات شعرية، ويحمل شعره ملامح وآثار الكثيرين ممن سبقوه ٠٠ فان ابراهيم ناجى لم يكن بهذه الصورة مطلقا ، وانما عاش طول حياته وهو شاعر الوجدان الذاتى ، الشاعر الذى عاش ليصب تجاربه العاطفية والشعورية فى قصائد رائعة شجية ، وأبو شادى باتساع مدى اهتمامه هذا وكأنه موسوعة شعرية كبرى يعبر عن مكانه الحقيقى بالنسبة لجيل أبولو ، فهو من جيل سابق عليهم ، وكأن أبا شادى كان بمثابة المخاض لهذا الجيل أو حلقة الوصل بينه وبين الاجيال التى سبقته ، بينما يعتبر ناجى من صميم جيل أبولو بل هو من أكبر شعراء ابولو تأثيرا فى جماعته ذاتها ، ولم يأت ذلك ناجى من أنه كان وكيلا للجماعة ولكن لأنه كان — بين الانغام التى انطلقت من جوقة أبولو — ذلك النغم الشجى الذى يمس أوتار القلوب ، ولعل هذه المكانة التى بلغها ناجى فى داخل الجماعة راجعة كذلك الى ما أوضحناه من أن رائدها «أبو شادى» قد انساب فى كل ميادين الشعر حتى أصتيب انتاجه بشىء من الضحالة بينما تحكم طبع ناجى فى انتاجه الشعرى وجارى هذا الطبع على سجيته وغذاه بمطالعاته فى الآداب الغربية، فتميز بالطابع الوجدانى وبالحب المثالى وأشواق الروح، وكان بالنسبة لجماعة أبولو من أهم دعائمها وأرفع هاماتها

حتى ليعده الدكتور أحمد هيكل ممثلا لاتجاه هذه الجماعة أروع تمثيل وهو يتألق بين شعراء هذه الجماعة كما يشمخ العقاد بين شعراء مدرسة الديوان وكما يضيء شوقى بين شعراء البعث (١) ، وقد اثر ناجى فى الشعراء الذين جاءوا من بعده ، حتى أننا لنحس آثاره باقية حتى الآن فى شعرنا المعاصر .

كان ناجى هو شاعر الوجدان الذاتى بلا مراء وكان بقية شعراء ابولو يدورون فى نفس الاتجاه وان اختلفوا فيما بينهم اختلافات طفيفة ، كان مثلهم الاعلى هو أن يعبروا عن وجداناتهم الذاتية وانفعالاتهم وأمانيهم الشخصية وآلامهم وحزنهم وتشاؤمهم ، وكانت أشعارهم مليئة بالشكوى والتبرم والأنين ، وكانت الفترة التى تمر بها الأمة أشبه ما تكون بتلك الفترة التى نشأت فيها الرومانسية فى الغرب ، فكان حتما ولزاما على الشعراء أن يسيروا فى هذا الاتجاه ، وقد ساروا فيه حتى النهاية وأبدعوا فى التعبير عن وجداناتهم ايما ابداع ، وقد رأينا واحدا منهم وهو ناجى ، يبلغ ذروة التعبير عن وجدانه ...

ولكن شعراء جيل ابولو فى رومانسيتهم المنطلقة الى أغوار نفوسهم، كانوا قد فهموا التجربة الفنية بمعناها الضيق ، فالتجربة الذاتية ليس معناها أنها مقصورة على حدود المعبر عنها بل هى انسانية جماعية كذلك ، ومهمة الشاعر لا تكون أبدا فى انصرافه الى تجاربه الذاتية المحضة ، وانما يضاف اليها كذلك تجارب الانسانية وتجارب المجتمع الذى يعيش فيه بعد أن يتمثلها الشاعر وينفعل بها ، ومن هنا ظهر المذهب الواقعى الى جوار الرومانسية خلال القرن التاسع عشر ، ويدعو المذهب الواقعى الى أن يسلط الاديب طاقته الخلاقة على واقع الحياة ينتزع منه التجارب البشرية التى يريد أن يصوغها أدبا، وبذلك ينصرف الأديب عن ذاته الى موضوعه ، ونتيجة لظروف الحياة والتيارات الوطنية والقومية والفلسفات الواقعية الاشتراكية أمكن أن يتحول الوجدان الذى يصدر عنه الشعر الغنائى من وجدان ذاتى الى وجدان جماعى (٢) .

وفى شعرنا العربى ، كان الشعراء الذين ينظمون عن الاحداث الوطنية والاجتماعية ، سواء منهم التقليديون أو شعراء الجيل الرومانسى ، يعبرون عن تلك الاحداث وكأنهم يؤدون واجبا مفروضا عليهم حتى أننا لا نحس لدى أى منهم بالانفعال الوجدانى القوى الذى يدلنا على أن الشاعر عاش أحداث وطنه ولم يقف منها موقف المتفرج أو المحايد ، ومن هنا يظهر الفرق بين الشعر الوطنى والاجتماعى الذى يصدر عن الوجدان الجماعى وبين

---

(١) مقدمة ديوان ناجى .

(٢) د . محمد مندور ــ فن الشعر .

ذلك الشعر عندما يصـدر فى صورة تقريرية مجردة وكأنه مجرد مقالات صحفية أو خطب سياسية ٠

وإذا نظرنا الى القصائد التى حاول شعراء ابولو ان يعبروا بها عن الاحداث الوطنية فى العالم العربى وجدناها مجرد اشعار مناسـبات ولانحس فيها بذلك الانفعال الحار الذى نحسه فى اشعارهم الوجدانية الذاتية ، ولا يعنى هذا انهم ملومون فى ذلك ، فكلنا يعـرف عنهم انهم شعراء صادقون فى وطنيتهم محبون لخير جماعتهم ولكنهم كانوا يعبرون تعبيرا صادقا عن المرحلة التى يمرون بها ، مرحلة الوجدان الذاتى دفعتهم الى ذلك ظروف حياتهم وظروف مجتمعهم ، وكانت تلك المرحلة مرحلة الادب الرومانسى ــ ادب العاطفة الحارة والوهم والشـكوى والأنين ــ مرحلة لا مفر منها .

وكانت المرحلة التى تلت تلك هى المرحلة التى تبلور فيها الوجدان الجماعى فى الشعر العربى الحديث ، فانمحى الفارق بين تجربة الشاعر الذاتية وتجربة مجتمعه ، وأصبح الشاعر يعيش أحداث وطنه ولا يفر منها الى الوهم والخيال ، وفى رأينا ان هناك حدثين كبيرين هما اللذان عجلا بانتهاء المرحلة الرومانسية فى شعرنا الحديث وبداية المرحلة الواقعية التى تقوم أساسا على التعبير عن الوجدان الجماعى ، هذان الحدثان هما حرب فلسطين وثورة ٢٣ يوليو العربية فى مصر ، فمأساة حرب فلسطين التى صدمت وجدان الأمة العربية صدمة قـوية فأفاقت لتبحث آثار النكبة وأسبابها ولتعد نفسهـا فى طريق الثأر ، تلك المأساة هى التى حركت وجدان الشعراء العرب فى شتى أجزاء بلادهم ، فى مصر وسوريا ولبنـان والاردن والعراق وغيرها ، بل وخلقت من بعض الشعراء العرب طائفة يمكن أن نسميها « شـعراء النكبة » الذين وهبوا طاقاتهم الفنية المبدعة وصبوا كل ما يعتمل فى جوانحهم من انفعالات وآمال وأحلام فى انتظار العودة ٠

وكانت ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ هى الحدث الثانى الذى فتح أعين العرب على طريق العمل الايجابى الذى يجب ان يسيروا فيه لتحقيق الوحدة والاشتراكية واستعادة فلسطين . هذان الحدثان الكبيران هما اللذان حركا الوجدان الجماعى لدى الشعراء العرب أو هما اللذان عجلا بهذه المرحلة من التطور الطبيعى ، وبدأ الشعراء العرب يعيشون تجارب مجتمعهم وينفعلون بها حتى اصبحت تلك التجارب فى الوقت نفسه تجارب ذاتية للشعراء .

حقا كانت هناك بوادر لهذا الاتجاه ، ولكنها بوادر قليلة لاتصنع اتجاها شعريا عاما ، كانت هناك ــ مثلا ــ قصيدة « اخى » لميخائيل نعيمة وفيها وجدان جماعى قوى واحساس بتجربة شعب وكانت هناك

غيرها من القصائد ، ولكن هذا الاتجاه لم يبدأ فى اتخاذ خط واضح الا فى اربعينات هذا القرن وخمسيناته وهو حتى الان مايزال يتخذ طريقة نحو النضج والكمال الفنى ، وليس معنى هذا اغلاق الباب امام تعبير الشعراء عن تجاربهم الذاتية ووجدانهم الذاتى فلن يغلق هذا الباب على الاطلاق مادام هناك شعر ووجدان ، ولكن طبيعة الكفاح القومى ومرحلة بناء الوطن تقتضى ان ينفعل الشعراء باحداثه ويعيشوها ويعبروا عنها وان يتمثلوها وكأنها تجارب ذاتية لهم .

واذن فلسنا نعيب على جيل أبولو، وعلى ناجى انغماسهم فى تجاربهم الذاتية وما فى اشـــــعارهم من أنين وشكوى وألم وهروب حيث كانت الفترة التى عاشوها تقتضى ذلك ، وليس هناك على الاطلاق الادب الذى ينسخ أدبا آخر ، فستعيش الآثار الادبية الكلاسيكية الخالدة جنبا الى جنب مع آثار الرومانسية والرمزية والسيريالية والواقعية ، والمرحلة التى عاشها ناجى وتألق فيها كانت بغير شك هى المرحلة التمهيدية لتلك المرحلة التى نعيشها الآن ؛ وما أشبهها بفترة المراهقة فى حياة الانسان تمتلىء بالخيال والوهم والأمل والحنين والشكوى والتبرم والحرمان ، ثم بعد ذلك تأتى مرحلة النضج والاكتمال والنظر الى الامور بموضوعية .

وأخيرا فما تزال انغام ناجى ترن أصداؤها فى حياتنا الى الآن ، وستظل كذلك لما فيهـــا من فن وأصالة ، ولانها آثار فنان محلق عذب الروح .

تم الكتاب

فهرس

الدار القومية للطباعة والنشر



مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون { ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤

العدد ٥٨ | الثمن ١٢ قرش